REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد بهي الدين العسّاسي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2401-1687

رقم الإيداع بدار الكتب
99/9440

الترقيم الألكتروني
3354-2735

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

لنشر الأبحاث بالمجلة
يرجى الإرسال من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة
https://jejh.journals.ekb.eg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصْدرهُا

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

المجلد السادس والخمسون

القاهرة

٢٠٢٢م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الَهيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونس)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

تصميم الغلاف : محمد أشرف عبدالمقصود
الإخراج الفني والتنفيذ: ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتويات

النَّباتاتُ الطِّبِّيَّةُ مُسَكِّنَةُ الْآلَامِ فِي مِصْرَ القَديمَةِ ٧-٥٢

د. رجب عبداللطيف محمد محمد

نَقْلُ المَوْتَى فِي مِصْرَ خِلالَ العَصْرِ الْرُومَانِيِّ فَى ضَوْءِ الوَثَائِقِ البَرْدِيَّةِ ..

الباحثة/ فاتن على حسن عبد المطلب ٥٣ - ٨٦

قِفْطُ فِي العَصْرِ البِيزَنْطِيِّ (٢٨٤ – ٦٤١ م) ..... ٨٧ - ١٤٨

د. محمد عبدالشافي محمد محمود المغربي

كُورَةُ القَيْسِ فِي صَعِيدِ مِصْرَ (الفَتْحُ، والِاسْمُ، وَمَظاهِرُ الحَضَارَةِ)

٢١- ٦٣٥هـ/ ٦٤٢- ١٢٣٧م ..... ١٤٩ - ١٨٦

د. عمر بكر محمد

اَلْجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ لِدَوْرِ الأَتْرَاكِ فِي اضْمِحْلَالِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ

«أَشْناسُ أُنْموذَجًا» ..... ١٨٧ - ٢٠٦

أ.د. محمد عثمان عبدالجليل

المَدَارِسُ الْوَقْفِيَّةُ فِي مَدِينَةِ فَاسَ خِلالَ العَصْر المَرِينِيِّ ..... ٢٠٧ - ٢٤٤

أ.د. حسين مراد

دَوْرُ الجَيْشِ فِي الأَعْمَالِ المَدَنِيَّةِ فِي مِصْرَ زَمَنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بن

قَلَاوُونَ (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩– ١٣٤٠م) ..... ٢٤٥ – ٢٩٨

د. محمد فوزي رحيل

تابع المحتويات

بَعْضُ جَوانِبِ الحَياةِ الِاجْتِماعيَّةِ والِاقْتِصاديَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ خِلالِ كِتابِ اَلْرَوْضِ المِعْطارِ لِلْحميَرِيِّ (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ٢٩٩-٣٥٦
د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي

مُؤَسَّسَاتُ ضَبْطِ الحُدُودِ القشْتاليَّةِ مَعَ غَرْناطَةَ فِي القَرْنَيْنِ الثّامِنِ والتّاسِعِ الهِجْرِيَّيْنَ / الرّابع عَشَرَ والْخامِس عَشَرَ المِيلَادِيَّيْنِ ..... ٣٥٧ - ٤١١
د. أميرة الطواب أحمد سفين

دورُ الوقفِ في نشوءِ بعضِ المـدنِ في المناطقِ الألبانيةِ خلالَ الحكم العثمانيِّ ..... ٤١٣ - ٤٢٨
محمد موفق الأرناؤوط

مَوْقِفُ مِصْرَ مِنْ مَطالِبِ اسْتِقْلَالِ السُّـودَانِ فَى الفَـتْرَةِ مِنْ ١٩٤٢–١٩٥٦ ..... ٤٢٩ - ٤٧٨
أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين

مَشْروعُ المَمْلَكَةِ العَرَبيَّةِ المُتَّحِدَةِ وَمَوْقِفُ حَرَكَةِ فَتْحٍ مِنْهُ «دِراسَةٌ فِي مَصادِرِ فَتْحٍ» ..... ٤٧٩ - ٥٠٦
د. عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان

بَيْنَ صَلاحِ الدِّينِ وَجَمالِ عَبْدِ النَّاصِرِ: أَزْمَةُ الكِتابَةِ التَّاريخيَّةِ فِي الخَمْسِينِيَّاتِ والسِّتِّينِيَّاتِ ..... ٥٠٧ - ٥٢٦
الباحث/ حسن حافظ عبد الحفيظ عدوان

The Role of Exile in the Era of the Bahri Mamluks (1250 – 1382) 1 - 562
Dr. Sami S. Abdulla Al-Makazeem

المجلة التاريخية المصرية ٥٦ (٢٠٢٢) ٢٤٥ - ٢٩٨

دَوْرُ الجَيشِ في الأَعْمَالِ المَدَنِيَّةِ في مِصْرَ زَمَنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بن قَلَاوُونَ (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩- ١٣٤٠م)

The Role of the Army in Civil Works in Egypt During Al-Nasir Muhammad Ibin Qalawun era (709-741 H/1309-1340 AD)

محمد فوزي مصري رحيل(*)

ملخص

تهتم هذه الدراسة بإلقاء أضواء كاشفة على دور الجيش في الأعمال المدنية في مصر زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك في فترة سلطنته الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م)، تلك الفترة التي سعى خلالها لتدعيم وجود دولة سلاطين المماليك بدعامة العمران، ومن هنا اتجه لاستغلال كل طاقات الدولة لإنجاز هذه المهمة التي تعد دعامة جديدة لشرعية السلطنة المملوكية. حددت

(*)مدرس التاريخ الإسلامي، كلية التربية – جامعة مطروح.

Lecturer of Islamic History, Faculty of Education – Matrouh University

الدراسة مفهوم الأعمال المدنية – الغير عسكرية أو الدينية– التي عاد مردودها على كل فئات الشعب بلا تمييز، كما نقبت الدراسة عن الظروف التي ساعدت على الاستعانة بالجيش في الأعمال المدنية، والتي كان من أبرزها: شغف الناصر محمد بالعمران، و تراجع حدة الغزوات الخارجية، واستقرار الأحوال الأمنية الداخلية، بجانب وفرة التمويل من مصادر عديدة، ولا نغفل أهمية وفرة الأيدي العاملة والخبرات الفنية. وقد تنوع دور الجيش في الأعمال المدنية من خلال الإشراف أو التمويل أو المشاركة في التنفيذ. ولم يتوقف دور الجيش في الأعمال المدنية عند المشاركة في المشروعات الكبرى مثل: حفر خليج الإسكندرية، وخليج سرياقوس، وبناء الكثير من الجسور، وتخطيط الميادين، لكن تعداه للمشاركة في إطفاء الحرائق والتصدي للأزمات الاقتصادية. وقد أثمرت مشاركة الجيش في الأعمال المدنية ثمارًا طيبة بدت في: التوسع العمراني الكبير، وزيادة الرقعة الزراعية، بجانب الحد من الآثار السلبية للأزمات الاقتصادية، وتقليل خسائر الحرائق التي تكررت خلال عصر الناصر، تلك الثمار التي أجمعت عليها المصادر التاريخية.

الكلمات المفتاحية: مصر – الجيش – المماليك - الناصر محمد بن قلاوون – الأعمال المدنية

Abstract

This study is interested in highlighting the role of the army in civil works in the era of Sultan Al-Nasir Muhammad bin Qalawun, during his third sultanate (709-741 AH/1309-1340 AD), During that period, he sought to consolidate the existence of the state of the Mamluk with the pillar of development, Hence, he proceeded to exploit all the capabilities of the state to accomplish this task, which is a new pillar of the legitimacy of the Mamluk Sultanate. The study defined the concept of civil works, that is, non-military or religious works, which benefited all people without discrimination. The study drilled the conditions that helped the Sultan to use the army in the civil works, the most

prominent of which were: Al-Nasir Muhammad's passion of development, the decrease in the number of invasions, the stability of internal security, the abundance of funding from many sources, the affluence of the manpower and the technical expertise. The role of the army in civilian works has diversified through: supervision, financing, or participation in implementation. The role of the army in civil works was not limited to participating in major projects such as: excavating the Gulf of Alexandria, and the Gulf of Syracuse, building many bridges, and planning squares, but went even further to participate in fires fighting and encountering the economy crises. The participation of the army in the civil works has yielded good results that appeared in: the great urban expansion, increasing the agricultural area, in addition to limiting the negative effects of economic crises, and reducing the losses of fires that were repeated during the Nasser era, those fruits unanimously agreed upon by historical sources.

key words: Egypt - the army - the Mamluks - al-Nasir Muhammad ibn Qalawun - civil works.

لم يتخلف جيش مصر في أي من مراحل تاريخها عن نداء الواجب، وقد يظن ظان أن الواجب الذي أداه جيش مصر عبر العصور مجرد القيام بوظيفته الطبيعية المتمثلة في الدفاع عن حدودها ورد كيد أعدائها، لكن الأمر تعدى ذلك في فترات عديدة استقرت فيها أحوال البلاد فشارك خلالها الجيش في أعمال البناء والتعمير كما سيتضح من ثنايا هذه الدراسة. وهنا يكمن سر أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تسليط الضوء على دور – لم يستوف نصيبه من الدراسة – من أدوار الجيش المصري في خدمة هذه الأمة، ألا وهو المساهمة في المشروعات والأعمال المدنية.

وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن تساؤلات عديدة منها:

- ما المقصود بالأعمال المدنية وما طبيعة أدوار الجيش فيها؟

- ما العوامل التي ساعدت على مشاركة الجيش في الأعمال المدنية؟
- ما أنواع الأعمال المدنية التي شارك فيها الجيش؟
- ما الآثار المترتبة على مشاركة الجيش في الأعمال المدنية؟

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة حول هذا الموضوع فعلى حد علمي لم يقم باحث بدراسة هذا الموضوع في فترة الدراسة هذه، ولم يرد أي ذكر لهذه الجهود إلا بشكل عابر في الدراسات التي اهتمت بعصر السلطان الناصر محمد ابن قلاوون[١]، دون توضيح لدور الجيش في إنجاز هذه المشروعات ولا ظروف مشاركته فيها.

وعماد المنهج المتبع في هذا الموضوع المنهج التاريخي بأدواته المختلفة من تحليل واستقراء واستنباط وسرد، وكل ما يتناسب من أدوات لعلاج عناصر الدراسة على النحو الأمثل.

ولم يكن الموضوع سهلًا معبدًا بل كان صعبًا شائكًا في ظل قلة الإشارات المصدرية عنه على أهميته، مما تطلب البحث في عدد كبير من المصادر أملًا في الوصول إلى أكبر قدر من المادة العلمية التي تسمح بتمام الدراسة كما خُطط لها.

---

(١) من الدراسات العربية التي اهتمت بعصر الناصر محمد بن قلاوون: علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، (القاهرة – مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤م)؛ حصة ناصر المبارك، الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٨٧؛ أسامة حسن: الناصر محمد بن قلاوون، (القاهرة – دار الأمل، ١٩٩٧م) ؛ لامية وادي: دولة المماليك في عصر الناصر محمد ابن قلاوون، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ٢، ٢٠١١م؛ أيمن فؤاد سيد: دولة سلاطين المماليك، (القاهرة – الدار المصرية اللبنانية ٢٠١٩م)، ٦٢-٦٥.

ومن الدراسات الأجنبية انظر: LEVANONI, A., *A Turning Point in Mamluk History The Third Reign of al-Nasir Mohamed Ibn Qalawun (1310-1341*), Brill, Leiden, 1995; Holt, P.M., "al-Nāṣir", in: EI., Vol VII, Ed. By C. E. Bosworth & others, Brill, 1993, p. 991-992

وقد قسمت الدراسة إلى عدد من العناصر: مقدمة تشمل أهمية الدراسة، والدراسات السابقة والظروف التي ساعدت على القيام بهذه المشروعات، ثم انتقلت الدراسة إلى الحديث عن المشروعات التي قام بها الجيش المملوكي ومنها مشروعات تتعلق بحفر القنوات والمجاري المائية وبناء الجسور[١] للحد من أخطار الفيضان، ومشروعات للتوسع الزراعي، وهناك أيضًا جهود تتعلق بالدفاع المدني وبخاصة إطفاء الحرائق، كما شارك الجيش في الحد من الأزمات الاقتصادية وبخاصة نقص الغذاء للحد من الآثار الكارثية لهذه المصيبة، ثم عرضت الدراسة لنوع من المشروعات حالت الظروف دون تنفيذها وأسباب ذلك الأمر، وآخر النقاط التي تعرضت لها الدراسة مردود أو ثمار مشاركة الجيش في الأعمال المدنية، وجاءت الخاتمة مجملة نتائج الدراسة وتوصياتها.

وقبل الغوص في غمار الدراسة يجب توضيح أمر لا بد منه وهو مفهوم الأعمال المدنية. تعرف كلمة مدني بأنها اسم منسوب للمدينة، يخص جموع المواطنين عكس العسكري[٢]، ومن هنا يمكن القول: بأن الأعمال المدنية تلك الجهود المبذولة للتنمية والتعمير وإدارة الأزمات التي ينتفع بثمرتها كل فئات الشعب، خلافًا

---

[١] أنواع الجسور: قسمت الجسور المصرية في عصر المماليك إلى نوعين: النوع الأول الجسور السلطانية، وهي جسور عامة تخص كل إقليم من أقاليم مصر، لها مخصصات مالية سنوية لصيانتها وتدعيمها، وعلى الدوام هي موضع عناية ومتابعة السلطان ضمانًا لاستمرار الإنتاج وتوفير حاجيات الشعب، وضمانًا لتدفق الأموال على الخزانة السلطانية. أما النوع الثاني الجسور البلدية التي تخص ناحية أو منطقة دون باقي المناطق، والنفقة عليها يتحملها أصحاب الإقطاعات والفلاحون فيما بينهم. انظر: ابن مماتي (الأسعد بن مماتي المتوفى ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، (القاهرة – مكتبة مدبولي، ١٩٩١م)، ٢٣٢؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، (القاهرة – دار الفكر العربي ١٩٧٤م)، ٢٨٨.

[٢] أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت – عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ٤: ٢٠٧٩.

للأشغال العسكرية المرتبطة بالدفاع وحماية حدود الدولة وسيادتها، وكذلك العمائر الدينية التي تخص دينًا بعينه دون باقي الأديان. ومن هنا شمل نطاق البحث المشروعات أو الأعمال المدنية التي أُنجزت وانتفع بثمرتها كل فئات الشعب، والتي نُفذت بأيدي العسكريين أو بتمويلهم أو بإشرافهم كليًّا أو جزئيًّا إبان عصر الناصر محمد بن قلاوون.

الولايةُ الثالثةُ للناصرِ محمدِ بنِ قلاوونَ:

يعد الناصر محمد بن قلاوون المدعم الفاعل لدولة سلاطين المماليك[١]، ولم يتأت ذلك إلا في زمن سلطنته الثالثة، فمن المعلوم أنه تولى الملك صغيرًا في التاسعة من عمره عام (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) عقب اغتيال أخيه الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣ هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)، لكن الأمير كتبغا ما لبث أن تعلل بصغر سن الناصر محمد وعدم قدرته على تسيير دفة الأمور فعزله وتولى السلطنة بدله عام (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، ولقب نفسه بالمالك العادل زين الدين كتبغا المنصوري[٢].

---

(١) ابن العسال (مفضل بن أبي الفضائل، كان حيًّا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ بن العميد، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على السيد، (دمشق- دار سعد الدين، ٢٠١٦م)، مقدمة التحقيق، ١: ١٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول ولاية الناصر الأولى وسلطنة العادل كتبغا انظر: ابن العسال: النهج السديد، ١: ٣١٩-٣٢٥؛ ابن شاكر الكتبي (صلاح الدين محمد بن شاكر المتوفى ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): عيون التواريخ، ج٣، تحقيق أحمد عبدالستار، (القاهرة - دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٦م)، ٣: ١٨١؛ ابن حبيب (الحسن ابن عمر بن الحسن المتوفى ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): درة الأسلاك في دولة الأتراك، ج١، مخطوط رقم ٨٤٩ بالمكتبة السليمانية، استنبول، ورقة ١٠٢- ١٠٥؛ وأيضًا: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، (القاهرة - دار الكتب المصرية، ١٩٧٦م)، ١: ١٦٩-١٧٥؛ ابن تغري بردي (جمال الدين بن يوسف، المتوفى ٨٧١هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨م)، ٨: ٤١-٥٠؛ السحماوي (شمس الدين محمد السحماوي، المتوفى ٨٦٨هـ/١٤٦٧م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق =

لكن كتبغا لم يمكث طويلًا حتى أجبر على التنازل عن العرش للمنصور حسام الدين لاجين عام (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)[١]، وهو الآخر لم يطل به المقام حتى قتل عام (٦٩٨هـ/١٢٩٨م) ليتولى الناصر محمد بن قلاوون ولايته الثانية التي امتدت حتى (٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، وخلال هذه الفترة كان الناصر لا يملك من أمره شيئًا إذ استبد كبار الأمراء بإدارة الدولة وفي مقدمتهم الأميران سلار[٢] وبيبرس الجاشنكير؛ اللذان

= أشرف محمد أنس، (القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩م)، ١: ٢٣٣، ٢٣٤؛ ابن إياس (أبو البركات محمد بن محمد، المتوفى ٩٣٠م/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، (القاهرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م)، ١: ٣٧٨–٣٨٦. أيضا انظر: وليم موير: دولة المماليك في مصر، ترجمة محمد عابدين وسليم حسن، (القاهرة – مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م)، ٧١؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، (القاهرة – دار النهضة العربية، ١٩٩٦م)، ٢٣٥–٢٣٦.

AL-HARITHY, H., "The Patronage of al-Nasir Muhammad ibn Qalawun, 1310-1341", in MSR, Vol IV, 2000, p. 220.

[١] لمزيد من التفاصيل حول سلطنة الحسام الدين لاجين انظر: ابن العسال: النهج السديد، ١: ٣٣١– ٣٤١؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ٣: ٢٦٨ – ٣٢٤؛ ابن حبيب: درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١١٣– ١١٩، تذكرة النبيه، ١: ١٩٤–٢١٣؛ السحماوي: الثغر الباسم، ١: ٢٣٤– ٢٣٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٣٩٤– ٤٠١.

أيضًا انظر: موير: تاريخ دولة المماليك، ٧١؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ٣٣٩–٣٤١.

AL-HARITHY , H. , *op. cit.*, p. 220

[٢] الأمير سلار: هو سيف الدين سلار التتري الصالحي المنصوري، كان من مماليك الأمير الصالح علاء الدين على بن المنصور قلاوون، ولما مات علاء الدين صار من خواص السلطان المنصور قلاوون، ثم الأشرف خليل، وكان ذا حظوة لديه، تميز بالعقل وترك الشر والتمسك بأهداب الدين مع خبرة واسعة ودهاء، خدم المنصور لاجين وتولى له نيابة السلطنة حتى (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، ولما تراجع أمره مال للناصر محمد، وذهب للكرك وصحبه في دخول مصر، ومنحه الناصر محمد حكم الشوبك ثم عزل عنها، ثم ساءت علاقته مع السلطان فقبض عليه ومات في السجن ليلة (٢٤ من جمادى الأولى عام ٧١٠هـ/ ١٨ أكتوبر ١٣١٠م) تاركًا ثروة هائلة كثر فيها القول من مال ومتاع وجوار وعبيد وعقارات وضياع. لمزيد من التفاصيل عنه انظر: ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، (بيروت –دار صادر، ١٩٧٣م)، ٢: ٨٦– ٨٩؛ المقريزي (أحمد بن علي، المتوفى ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، (القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،٢٠٠٧م)، ٢/ ١: ٩٧– ٩٩.

منعاه من الاتصال بالناس أو حتى التصرف فيما يملك من مال، مما أدى لذهاب السلطان إلى قلعة الكرك، وهناك تنازل عن منصبه[١]، فقفز على العرش السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير عام (٧٠٨هـ/١٣٠٨م). وما كان تنازل السلطان محمد بن قلاوون إلا مناورة تكتيكية، وترتيبًا للخروج من قبضة المماليك في القاهرة ليستقوي بأمراء الشام، الذين راسلهم ورتب معهم أمور مساندته في وقت اضطربت فيه أمور مصر، ففر كثير من الأمراء إلى الشام للانضمام للناصر محمد، ومن دمشق تقدم إلى القاهرة عام (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، ليتولى استرداد عرش أسرة قلاوون، وهذه المرة لم يكن ذلك الطفل الصغير، لكنه كان شابًا أصقلته الشدائد، وأتقن فن إدارة الدولة، والتعامل مع المماليك[٢]، كل ذلك مكنه من الاستقرار في العرش لمدة اثنين وثلاثين عامًا متصلة، أنجز خلالها كثيرًا من الإنجازات التي دعمت دولة سلاطين المماليك، ومن هذه الإنجازات كثير من المشروعات العمرانية والأعمال المدنية التي ضرب فيها الجيش بسهم وافر وهي موضوع هذا البحث.

وفي تقدير الباحث أن المشاركة العسكرية في هذه الأعمال كانت جانبًا من جوانب الإحساس بأزمة الشرعية، التي مثلت تحديًّا استجاب له سلاطين المماليك

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية انظر: ابن العسال: النهج السديد، ١: ٣٤٦- ٤٧٤؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ٣: ٣٢٥- ٦٠٥؛ ابن حبيب: درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١١٩، تذكرة النبيه، ١: ٢١٣- ٢٨٦؛ السحماوي: الثغر الباسم، ١: ٢٣٧ - ٢٣٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٠١-٤٢٣.
أيضا انظر: موير: تاريخ دولة المماليك، ٧٦؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ٢٤١-٢٤٣

(٢) حول ظروف تولى الناصر محمد بن قلاوون سلطنته الثالثة انظر: ابن العسال: النهج السديد، ١: ٤٧٩-٤٨٦؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ٣: ٦٢٨؛ ابن حبيب: درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١٥٣، تذكرة النبيه، ٢: ١٩ و٢٢؛ السحماوي: الثغر الباسم، ١: ٢٣٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٣١.
انظر أيضًا: موير: تاريخ دولة المماليك، ٨٧؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ٢٤٦-٢٤٧؛ موضى بنت سرحان: نشأة الناصر محمد وأثرها النفسي على علاقته بالأمراء، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، العدد ٨٨، ٢٠١٧م، ١٧٦.
LEVANONI , A, *op. cit.*, p.28-30; AL-HARITHY , H ,*op.cit.*, p. 220.

الأُوَل بأشكال متعددة منها: ظهور دولتهم بمظهر الدرع والسند حين تصدت دولتهم في مهدها للغزو المغولي[١]، ثم تصفية بقايا الوجود الصليبي في الساحل الشامي[٢]، وعضدت تلك الشرعية بإحياء الخلافة العباسية [٣]، وما إن وصلنا إلى

---

(١) كان الغزو المغولي للعالم الإسلامي من أخطر التحديات التي واجهت المسلمين في ظل عنف المغول ودمويتهم وتفكك العالم الإسلامي، ومن هنا اكتسب المماليك شرعية وجودهم - بالرغم من أصولهم غير الحرة- من خلال الانتصارات العديدة في عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، ومعارك حمص الثلاث (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) و (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، و شقحب (مرج الصفر) (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، وكانت الأخيرة آخر المواجهات الكبيرة وبعدها لم تحدث مواجهات كبيرة حتى توفي الناصر محمد عام (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م). حول هذه المعارك انظر: بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٤٣-١٦٣؛ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س ريتشاردز، (بيروت - المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٩٨)، ٤٨- ٣٧٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤: ٣٥٨- ٣٦٥؛ انظر أيضًا: السيد الباز العريني: المغول، (القاهرة - دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ٢٥٣ - ٣٢٠؛ صبحي عبدالمنعم: سياسة المغول الإلخانيين تجاه المماليك في مصر والشام ٧١٦-٧٣٦م، (القاهرة - العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)؛ حجازي عبدالمنعم: معارك حمص الثلاث بين المماليك والمغول، ضمن كتب الحروب الصليبية حركة الاستعمار الأوربي في العصور الوسطى، تحرير محمد مؤنس عوض، (القاهرة - دار الافاق العربية، ٢٠١٤م)، ٣٤٤-٣٨٤.

BROADBRIDGE, A. F., *Mamluk Ideological and Diplomatic Relations with Mongols and Turkic Rulers of near east and central Asia (658-807/ 1260-1405)*, Phd. theses, The University of Chicago,2001, p. 1-190.

(٢) حول دور سلاطين المماليك في تصفية معاقل الصليبيين انظر:

The Templar of Tyre, Part III of the Deeds of Cypriots, Translated by, Paul Crawford, England, 2003, p.40-129.

(٣) حول جهود الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة انظر: ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (الرياض، ١٩٧٦م)، ٩٩-١١٢؛ شافع ابن علي الكاتب (شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل، المتوفى ٧٣٠هـ/١٣٣٠م): كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (الرياض، ١٩٧٦م)، ٣٧-٥٥؛ المقريزي، السلوك، ٢/ ١، ٤٤٨-٤٥٩؛ العيني (بدر الدين محمود العيني، المتوفى =

الناصر محمد حتى أراد أن يدعم هذه الشرعية بدعامة جديدة ألا وهي التنمية الاقتصادية والعمران، وكأنه يكافئ جموع الشعب الذي خرج في أعداد ضخمة تجوب القاهرة منادية بعودته؛ تمسكًا بأهداب أسرة قلاوون، في وجه أمراء المماليك الطامعين في الملك، ذلك الطمع الذي جلب لهم المصائب وسوء الأحوال[١].

العواملُ التي ساعدتْ على مشاركةِ الجيشِ في الأعمالِ المدنيةِ:

يجدر بالباحث قبل الخوض في غمار الأعمال المدنية التي شارك الجيش في إنجازها إبان عصر الناصر أن يكشف اللثام عن العوامل التي ساعدت على ذلك، كما يلي:

أولًا- شغف السلطان بالعمارة:

يعد هذا العامل في مقدمة العوامل التي أسهمت في مشاركة الجيش المملوكي في مشروعات الدولة المدنية، فمنذ بداية ولاية الناصر الثالثة والسلطان في عمارة مستمرة غير منقطعة، حتى زاد عمران السلطنة بمقدار النصف خلال عهده وحده، وفي تقدير كل من ابن تغري بردي وابن إياس[٢] أن عمارة مصر والشام زادت في عصره

= ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،، تحقيق محمد محمد أمين، (القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠م)، ١: ٢٩٣-٣١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧: ١٠٩-١١٣. راجع أيضا، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ٢٠٤-٢٠٩؛ أيمن فؤاد سيد: دولة سلاطين المماليك، ٤٧-٤٨.

AYALON, D., "Studies On the Transfer of the Abbasid Caliphate From Bagdad To Cairo", in *Arabica*, Vol VII, 1960, p. 41-59.

[١] حول المطالبات الشعبية بعودة الناصر محمد انظر: المقريزي: السلوك،٢/ ١: ٥٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٨: ٢٤٤؛ إبراهيم أبو سعيد: "ثورات المصريين في عهد الناصر محمد ابن قلاوون"، مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم، المجلد ٩، ٢٠١٤م، ٢٩٩.

[٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٨٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٨١.

بمقدار النصف ممثلة في جوامع وخوانق[١] وقناطر وجسور وخلجان، كما يؤكد ذلك قول الطولوني[٢] "كان مغرمًا بحب العمارة وإذ بلغه أن أحدًا أنشأ عمارة شكره بين الناس"، كما وصفه علي مبارك[٣] بأنه كان شغوفًا بالعمارة. وقد انعكس شغف السلطان على عامة الرعية الذين حذوا حذو سلطانهم، حتى "امتدت أيدي الناس إلى العمارة وكأنما نودي في الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر وذلك أن الناس على دين ملكهم"، كما ذكر المقريزي[٤].

ثانيًا- الاستقرارُ السياسيُّ:

شهدت ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة استقرارًا سياسيًّا كبيرًا، إذ تمكن من القضاء على المنافسين له من المماليك، واستبد بالحكم بلا منازع مدة اثنين وثلاثين عامًا متصلة، وهي أطول مدة ملك فيها أحد سلاطين دولة المماليك، وصف الناصر خلالها بأنه كان مهابًا عاقلًا حسن السياسة، في ظل الظروف القاسية التي مر بها في ولايتيه الأولى والثانية مما أكسبه خبرات عظيمة مكنته من إدارة الحكم باقتدار[٥]، فصارت دولة سلاطين المماليك بالفعل دولة عظمى يخطب ودها، باعتبارها أقوى

---

(١) الخوانك: جمع خانكاه، وأصل الكلمة فارسي، وتعني بيت الصوفية، ومع انتشار استخدام الكلمة قلبت ك إلى ق فصارت خانقاه. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (لندن- مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٤م)، ٤: ٧٢٤.

(٢) (حسن بن حسين الطولوني المعمار) المتوفى ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م: نزهة الأبصار في أخبار الأخيار (مخطوط)، مكتبة حكيم أوغلي – استنبول، ورقة ٤٦٧ ب.

(٣) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، (القاهرة – المطبعة الأميرية ببولاق، ١٨٨٦م)، ١: ٣٢.

(٤) السلوك، ٢/ ١: ١٣٠؛ محمد مصطفى زيادة: "حركة البناء والتعمير في عصر الناصر محمد ابن قلاوون"، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٠، ١٩٦٢م، ٢٤١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٦٥-١٦٦.

FLINTERMAN, W. and STEENBEREN J., "Al-Nasir Muhammad and Formation of the Qalawunid State", in: *Pearls on a string: art in the age of great Islamic Empires*, ed. By Amy Landau, University of Washington, 2015, p. 95, 96.

دولة إسلامية في هذه الفترة بدليل ما ذكره المقريزي[١] في أحداث عام (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) من وصول عدد كبير من السفراء لم يعرف مثله في عام واحد ومنهم: رسل ملك اليمن، ورسل الامبراطور البيزنطي، ورسل ملك أرمينيا، ورسل ماردين، ورسل ملك النوبة، وكلهم يطلبون رضا سلطان مصر، وكذلك وصل في عام (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) رسل حاكم الدولة الإلخانية المغولية القآن أبي سعيد (٧١٦-٧٣٥هـ/١٣١٦- ١٣٣٥م)[٢].

ثالثًا- ترقيةُ المخلصين وإطلاقُ المحبوسين والخلاصُ من المعاندين[٣]:

بمجرد استقرار السلطان في ولايته الثالثة عام (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) حتى أسرع بمكافأة الأمراء الذين ساندوه في محنته وصبروا معه على الشدائد وخاصة مماليكه المقربين، فمنهم من رقي لأمير طبلخانة[٤] ومنهم

---

(١) السلوك ١/٢: ٢٥٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٧٨.

(٢) المقريزي السلوك، ١/٢: ٢٩٢.

(٣) لخص الشجاعي في سيرة الملك الناصر سياسة السلطان في التعامل مع المماليك في سلطنته الثالثة قائلًا: "وأفنا كثير من الأمراء مماليك والده، ومماليكه الذي أقامهم وأمرهم تقدير مايتي أمير، وكان من خلته أن إذا كبر أميرًا في خدمته أذهبه وأخذ ساير موجوده، وأقام غيره صغيرًا يكبره ويعطيه ويقيمه الى أن يصير أكبر من الذي أذهبه." الشجاعي (شمس الدين المتوفى ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م): تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده، تحقيق برباره شيفر، (القاهرة – المعهد الألماني للأثار الشرقية، ١٩٧٧م)، ١١٣.

FLINTERMAN, W. and STEENBEREN J., "Al-Nasir Muhammad and Formation of the Qalawunid State", p 87.

(٤) أمير طبلخانة: لقب عسكري مملوكي يتكون من الكلمة العربية أمير، ومن الكلمة الفارسية طبلخاناه أي بيت الطبل، وهو أمير من الطبقة الثانية، يدق على بابه الطبول ويحمل قضيب من الفضة في المواكب العامة، وتحت قيادته من أربعين إلى سبعين فارسًا وربما ثمانين، ويأتي بعد مقدم الألف في الرتبة، يقوم السلطان باختيار من يراه منهم صالحًا لحكم الأقاليم. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، المتوفى ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م)، :3 ٤٨٠، حسن الباشا: الفون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، (القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٦٥م)، ١: ٢٣١؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (دمشق – دار الفكر، ١٩٩٠م)، ٢٢؛ محمد عبد الله العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، (عمان الأردن – دار كنوز، ٢٠١١م)، ٤٦.

من رقي لأمير عشرة[١]، وبلغ عددهم اثنين وثلاثين أميرًا[٢] دفعة واحدة منهم تنكز الحسامي[٣] وطغاي[٤]، وفي عام (٧١٢هـ/١٤١٢م) ذكر ابن

---

(١) أمير عشرة: أمير من الطبقة الثالثة تحت إمرته عشرة فرسان أو عشرين فارسًا، يختار من بينهم صغار الولاة. حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ١: ٢٣٨؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ٢٢.

(٢) الطولوني: نزهة الأبصار (مخطوط)، ورقة ٤٦١ أ.

(٣) الأمير تنكز: هو الأمير الكبير المهاب سيف لدين أبو سعيد، كان من مماليك السلطان لاجين، فلما قتل ضمه السلطان الناصر لخاصته وقربه، كان متمسكا بأهداب الدين مقبلًا على العلم، سمع صحيح البخاري أكثر من مرة وسمع كتاب الآثار للطحاوي، كما كان حريصا على أداء الزكاة في موعدها، ألزمه الناصر في سلطنته الثالثة ملازمة الأمير أرغون مدة عام؛ ليتعلم منه أصول النيابة وإدارة الحكم، فلما تمكن من ذلك جعله نائبًا للشام في ربيع الآخر عام (٧١٢هـ/ مايو ١٣١٢م)، نشر الأمن في ربوع الشام وأمن حدود الدولة المملوكية الشرقية، وافتتح ملطية، كان عفيف اليد لا يقبل الرشى، معظما عند الناصر محمد لا يرد له طلب، ولا ينقض قرارًا اتخذه، قام ببناء كثير من العمائر ما بين مساجد وخوانق وبيمارستانات في القدس ودمشق وصفد، تزوج أبنائه من بنات السلطان الناصر محمد، ولما بلغ نفوذه الذروة قرر السلطان الناصر الخلاص منه فقبض عليه وسجنه في الإسكندرية حيث مات مخنوقًا بأمر السلطان عام (٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م). عنه انظر الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، المتوفى ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، ج ١٠، تحقيق جاكلين سوبله وعلي عمارة، (شتوتجارت- النشرات الإسلامية، ١٩٩١م)، ١٠: ٤٢٠- ٤٣٥؛ المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، (بيروت - دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م)، ٢: ٦٠٧-٦٢١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٣.

ASHTOR, E., "Tankiz", in: EI, Vol X, p 185.

الأمير طغاي: سيف الدين الناصري، كان من مماليك المنصور لاجين، لما تسلطن الناصر محمد أمره ورفع قدره، وتولى عدد من الوظائف الكبرى منها نيابة صفد، شعر منه السلطان الناصر سموا للملك حين ألم به المرض، فقبض عليه عام (٧١٨م/ ١٣١٨م) وسجن بالإسكندرية حيث مات بعد قليل. عنه انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦: ٤٤٤-٤٤٦.

حبيب[١] أن السلطان أمر بترقية ستة وأربعين أميرًا، ومنهم من خصص له إقطاعات[٢] كثيرة الريع[٣]، كما استجلب رضا المماليك بالإفراج عن جماعة من الأمراء المسجونين أيام زين الدين كتبغا، ويبدو أنهم كانوا من ذوي المكانة، ومن ثم احتفل بيبرس المنصوري بالأمر وأثنى على السلطان[٤]، كما أكثر الناصر من إرسال الهدايا والجوائز لكبار الأمراء، وفي ذلك يقول بيبرس المنصوري[٥]:"ولم يبق أحدٌ ممن له تعلق بالخدمة من أرباب السيف والقلم حتى شمله الإحسان وبرز الناس كأزهار البستان".

ومثلما أهتم السلطان بمكافأة المخلصين جد أيضًا في تتبع الأمراء الذين يخشى تهديدهم، وبدأ بثلاثين أميرًا كبيرًا عام (٧٠٩ هـ/١٣٠٩م) فقبض عليهم وأودعهم

---

(١) درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١٦٤.

(٢) الإقطاعات العسكرية: مفردها إقطاع، ونظام الإقطاع يقوم على توزيع أرض مصر الزراعية أقسامًا أو إقطاعات، يخص السلطان قسم والأمراء قسم والجنود قسم.، وغرض الإقطاع العسكري تمويل جهود الجنود النظاميين في الجيش لضمان قيامهم بدورهم الطبيعي، ومنذ أن عرفت مصر الإقطاع العسكري في العصر الأيوبي وهي مقسمة أربعة وعشرين قيراطًا، أربعة للسلطان وعشرة للأمراء وعشرة للجنود، فلما جاء الناصر محمد اختص نفسه بعشرة قراريط ومنح الأمراء والجنود أربعة عشر قيراطًا فيما عرف بالروك الناصري. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ٣: ٤٣٦؛ السيد الباز العريني: المماليك، (القاهرة – دار النهضة العربية، ١٩٦٧م)، ١٥٩؛ محمود رزق سليم: موسوعة عصر سلاطين المماليك، (القاهرة- مكتبة الآداب ١٩٦٢م)، ٢: ٢٧٤؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٥٥.

(٣) بيبرس المنصوري (الأمير بيبرس نائب السلطنة المتوفى ٧٢٥هـ/١٣٢٤ م): التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م)، ٢١٠؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب المتوفى ٧٣٣هـ/ ١٤٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق إبراهيم شمس لدين، (بيروت – دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م)، ٣٢: ١٥٠-١٥١؛ موضى بنت سرحان: "نشأة الناصر محمد"، ١٧٧.

LEVANONI, A., *op. cit.*, p. 29.

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٢١٠.

(٥) المصدر نفسه ٢١٣.

السجن بسبب سوء فعالهم في الماضي[١]، كما كان لكل أمير قدر معين عند السلطان من النفوذ والسلطة وارتفاع الكلمة فمن وصل إلى الحد الأقصى في تقدير السلطان تخلص منه؛ حتى تنكز أقرب المقربين من السلطان لم ينج من ذلك[٢]، فتوطدت سلطة الناصر ولم يعد ينازعه أحد في الملك ولا تصبو إليه نفسه[٣].

ولا شك أن كل ذلك ساعد على تماسك الجيش وزيادة ارتباطه بالسلطان، وهو ما انعكس بالإيجاب على تنفيذ مختلف المخططات التي أعدها، ومن أبرزها المشروعات التنموية والعمرانية.

رابعًا- تراجعُ الغزواتِ الخارجيةِ والحركاتُ الاستباقيةُ:

يظهر ذلك في ظل القضاء على الصليبيين وطردهم من الساحل الشامي عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م) على يد الأشرف خليل بن قلاوون أخي السلطان محمد[٤]، وتراجع الضغوط المغولية بعد تلقيهم هزائم متتالية على يد دولة سلاطين المماليك[٥]، بالإضافة إلى سرعة استجابة السلطان الناصر محمد لأي تحركات عسكرية مغولية، مما

---

(١) الدواداري: كنز الدرر، ٩: ١٩٦.

MAZOR, A., The "Manṣūrīyah Legacy: The Manṣūrī Amirs,Their Mamluks, and Their Descendants during al-Nāṣir Muḥammad's Third Reign and After The Mansuriyah," In: MSR, Vol 18, 2014, p. 3.

(٢) الصفدي: الوافي، ٤: ٣٧٠؛ موضى بنت سرحان، ١٨٢-١٨٣.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٣٧٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩: ١٧٤؛ إبراهيم أبو سعيد: "ثورات المصريين في عهد الناصر محمد بن قلاوون"، ٣١١.

(٤) *The Templar of Tyre*, p.40-129.

محمد فوزي رحيل: نهاية الصليبيين، ٢٨٦-٣٤٠.

(٥) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٤٣-١٦٣؛ زبد الفكرة، ٤٨- ٣٧٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤: ٣٥٨-٣٦٥؛ السيد الباز العريني: المغول، ١٩٨١م، ٢٥٣ – ٣٢٠؛ صبحي عبدالمنعم: سياسة المغول الإلخانيين، حجازي عبدالمنعم: معارك حمص الثلاث، ٣٤٤-٣٨٤.

BROADBRIDGE, A. F., *Mamluk Ideological and Diplomatic Relations with Mongols and Turkic Rulers of near east and central Asia* (658-807/ 1260-1405), Phd. theses, The University of Chicago,2001, p. 1-190.

أدى لإجهاض هذه التحركات في مهدها كما حدث عام (٧١١هـ/١٣١١م)[١] بجانب تفشي الصراعات داخل البيت المغولي[٢]، وأخيرًا الحملات العسكرية الوقائية المتتابعة على بلاد الأرمن لضمان بقائها في طاعة الناصر واستمرارها في دفع الجزية[٣].

خامسًا- استقرارُ الأمنِ الداخليِّ:

حدث استقرار واضح في الأمن الداخلي بفضل جهود الأمراء الذين فوض إليهم السلطان أمر الأعمال الشرطية، وخير نموذج على ذلك الأمير قدادار[٤] الذي منح سلطات شرطية واسعة للضرب على أيدي العابثين بأمن العاصمة، فصنع أبوابًا للحارات، وجعل على كل حارة خفراء يضربون الطبول ليلًا، وأمر ألا يخرج أحُد ليلًا، ومن قبض عليه مخمورًا أو مرتكب لجرم عُوقب بشدة[٥].

سادسًا- توافرُ التمويلِ:

تسبب الازدهار الذي صاحب الاستقرار السياسي وخفة حدة الغزوات

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٢٢.

(٢) حول الصراعات الداخلية في البيت المغولي: عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، (القاهرة – دار المعارف، ١٩٨١م)، 153-189

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٤٦.

(٤) الأمير قدادار: كان إداريًّا ماهرًا بجانب كونه من الفرسان المشهورين ولاه الناصر محمد ولاية الغربية، ثم نقل للقاهرة بعد اضطراب أحوالها فضبطها بحزم وضرب على يد العابثين، وذلك في رمضان ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، بقي في منصبه حتى كثرة الشكوى من حزمه فعزله السلطان وولى بدلًا منه الأمير ناصر الدين محمد المحسني، فذهب قدادار للحج وعاد مريضًا فلزم الفراش حتى توفي في ١٦ صفر عام ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م. عنه انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤: ٢٠٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٢٨٣.

(٥) المقريزي: السلوك، ٢/١: ٣٠١؛ إبراهيم أبو سعيد: "ثورات المصريين في عهد الناصر محمد ابن قلاوون"، ٣٢١.

الخارجية في تزايد الأموال في الخزائن السلطانية في القاهرة وخزائن نواب الشام، إذ تنوعت موارد الخزانة المملوكية المالية بين موارد شرعية مثل: الخراج، الزكاة، المواريث، الجمارك، وكذلك موارد غير شرعية ومنها: المصادرات وبيع أملاك بيت المال[١]، وحل الأوقاف[٢]، والرماية على التجار بطرح البضائع جبرًا من قبل الدولة بأعلى من سعرها[٣].

ومن أمثلة التدفقات النقدية على الخزانة السلطانية وصول أربعين ألف درهم من صفد وحدها عام (٧٢٨ هـ/١٣٢٧م)[٤]، وساعد على توافر التمويل للمشروعات العمرانية كثرة مصادرات أمراء المماليك[٥]، وعلى سبيل المثال لا الحصر: مصادرة أملاك الأمير سلار بعد موته في السجن عام (٧١٠هـ/١٣١٠م)، فقد أخذ مما خلفه مالًا جزيلًا من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية وصناديق الجواهر، بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الجواري والغلمان، ناهيك عن الضياع والمعاصر والشون وكميات

---

(١) البيومي إسماعيل الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، (القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ١٥٣–٢٠٧.

(٢) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية ٦٤٨– ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م، (القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤م)، ٣٢٦.

(٣) الشجاعي: تاريخ الملك الناصر، ٩.

(٤) المقريزي: السلوك، ٢/ ١: ٣٠١.

(٥) حول المصادرات في عصر سلاطين المماليك انظر: البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، جزءان، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م).

ضخمة من الغلال[١]، أيضًا صودرت أموال الأمير بكتوت الخازندار[٢] الذي مات مقبوضًا عليه عام (٧١١هـ/١٣١١م)، ووصف المقريزي[٣] ما صودر من تركته بالمال العظيم لأنه فاق الوصف، كما جبيت مبالغ كبير من الجزية المفروضة على البلاد المحيطة بالسلطنة ومنها مملكة أرمينيا[٤] الصغرى التي فرض عليها أربعمائة ألف درهم كل عام[٥].

ومن دلائل توافر الأموال في خزائن الناصر ما ذكره المقريزي في أحداث عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) أن معدل الإنفاق اليومي على العمائر من الخزانة السلطانية بلغ اثنى عشر ألف درهم[٦]، وأكد ذلك أيضًا التزام الناصر محمد بدفع تعويضات الأراضي

---

(١) للتعرف على مزيد من التفاصيل حول تركة الأمير سلار انظر: بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٢١٤؛ السحماوي: الثغر الباسم، ١: ٢٣٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٧-١٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٣٧-٤٣٩؛ إبراهيم أبو سعيد: "ثورات المصريين في عهد الناصر محمد بن قلاوون"، ٣١٨.

(٢) الأمير بكتوت الخازندار: كان مملوكًا لأمير شكار بيليك الخازنداري -نائب السلطنة زمن الظاهر بيبرس- ورقي لرتبة أمير شكار، ولما تسلطن العادل كتبغا رقاه لرتبة أمير شكار، ثم نقل لنيابة الإسكندرية استمر في المنصب نفسه حتى تولى الناصر محمد سلطنته الثالثة حتى غضب عليه فعزله ونقل ليقضي أجله بطالًا في (١٨ رجب عام ٧١١هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٣١١م). عنه انظر: ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي، المتوفى ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، (بيروت - دار الجيل،١٩٩٣م)، ١: ٤٨٩؛ المقريزي: السلوك، ٢/١: ١١١؛ المقى الكبير، ٢: ٤٧٩- ٤٨١.

(٣) السلوك ٢/١: 113؛ كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، (بيروت - دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م)، ١: ٤٧٩.

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٢١٧.

(٥) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ٩: ١٧٢.

(٦) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١٣٠.

التي تم نزع ملكيتها لصالح مشروع حفر خليج سرياقوس[١]، وعلى الرغم من طابع المبالغة الذي اعترى تلك الأرقام التي ورد ذكرها في المصادر، إلا أنها غير مستبعدة في ظل كثرة المشروعات التي لم تكن لتتم لولا وجود تمويل ضخم.

ومن مصادر التمويل ما عثر عليه أثناء تنفيذ المشروعات العمرانية من معدن الرصاص - الذي كان مستخدمًا في المشروعات العمرانية في العصر الروماني- مثلما اكتشف الأمير بدر الدين بكتوت الخازندار كمية كبيرة من هذا المعدن في أساس بعض القناطر القديمة المتهالكة عند حفر خليج الإسكندرية، بجانب كشف نفق طويل يصل بين أحد أطلال القصور القديمة والبحر المتوسط، قرب نهاية خليج الإسكندرية فتم استخلاص الرصاص من هذا النفق وباعه الأمير بمبلغ عظيم استخدم بعضه في تعمير المناطق المحيطة بالخليج الجديد[٢]، وأخيرًا جاءت الاحتكارات التي فرضتها الدولة على بعض المعادن سببًا في تدفقات نقدية ضخمة على الخزانة المملوكية ومن أهمها النطرون[٣].

ومما ساعد على زيادة توافر التمويل للمشروعات العمرانية في دولة الملك الناصر محمد عملية مسح أرض مصر الزراعية المشهورة بالروك الناصري[٤]، فنتيجة لهذا الروك

---

[١] المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٦١.

[٢] المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١١٢.

[٣] إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، (القاهرة - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م)، ٧٧؛ البيومي الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨)، ١٧٥-١٧٦.

[٤] الروك: كلمة قبطية أصلها روش أي قياس الأرض بالحبل ولها جذور مصرية قديمة من اللفظ الديموطيقي روخ بمعنى تقسيم الأرض، ويقصد بالروك إصطلاحًا عملية مسح الأرض الصالحة للزراعة وتقويم الاملاك والعقارات وهو ما يعرف حاليًا مصطلح فك الزمام. عنه انظر: المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١٤٦ حاشية ١؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ٢٨٩ حاشية ٣؛ إبراهيم دسوقي: "عمل الأخميمية في الروك الناصري٧١٥هـ-١٣١٥م"، مجلة كلية الآداب بقنا، عدد ١٩، ٢٠٠٦م، ٢٤٢- ٢٤٣.

زاد نصيب السلطان من أرض مصر المزروعة، من أربعة قراريط إلى عشرة، وهو ما عالج مشكلة تأخر كثير من الأمراء والجند عن دفع حقوق الخزانة السلطانية عليهم[١].

سابعًا- توافرُ الخبراتِ الفنيةِ:

توافرت كثير من الايدي العاملة الخبيرة في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، سواء من أهالي القطرين أو من المهاجرين إلى السلطنة فرارًا من الإسبان في الغرب أو المغول في الشرق[٢]، وقبل ذلك كله كان السلطان الناصر على دراية واسعة بالهندسة[٣]، وحين قرر إنشاء الحدائق والبساتين على نحو بديع مع التفنن في تطعيم مختلف أنواع الأشجار لإنتاج فواكه متنوعة، استقدم للقاهرة عددًا من الشوام المهرة في هذه الحرفة، فأخذ عنهم أهل جزيرة الفيل صنعتهم، التي عادت عليهم بخير وفير[٤]، كما توافر المهندسون المتخصصون في أمر تشييد الجسور، منهم من شارك في إنجاز جسور وقناطر الجيزة[٥]، وحفر وبناء قناطر خليج سرياقوس[٦]، كما تم استدعاء العتالين الشوام إلى مصر للمشاركة في المشروعات العمرانية[٧]، أيضا أورد ابن تغري

---

(١) حول الروك الناصري انظر: الدوداري: كنز الدرر، ٩: ٢٨٦-٢٨٧؛المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١٤٦؛ علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ٣٤٤-٣٤٥؛ جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون،٢٨٩-٢٩٠؛إبراهيم دسوقي: "عمل الأخيمية"، ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، (القاهرة - دار عين للبحوث والدراسات، ١٩٩٨م)، ٢١٩-٢٢٠؛ محمد فوزي رحيل: "الأندلسيون ودورهم في الحياة العلمية في عصر سلاطين المماليك"، مجلة قنديل، المجلد ٩، العدد ٢، مدريد، ٢٠٠٩؛ ٤٣٤.

(٣) الشجاعي: تاريخ الملك الناصر، ٤٧.

(٤) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١٣٠.

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢: ١٣٠.

(٦)المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٦١-٢٦٢

(٧) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١٣٠.

بردي[١] خبر استدعاء الصناع الخبراء في بناء القصور من دمشق إلى لقاهرة للمشاركة في بناء القصر الأبلق بالقلعة على نسق قصر الظاهر بيبرس في دمشق.

ثامنًا- توافرُ الأيدي العاملةِ:

سعى الناصر محمد لاستغلال كل طاقات البشر في سلطنته من أجل إنجاز مشروعاته العمرانية ومنهم: العساكر وجنود الأمراء الذين تم توظيفهم حال وجودهم بلا مهام عسكرية، ففي مشروع حفر خليج الإسكندرية عمل حوالي أربعين ألف من مختلف الفئات من بينهم العسكريين[٢]،أيضًا استعان عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) بالعساكر والأمراء لتعمير جسور وقناطر الجيزة[٣]، كذلك في حفر خليج سرياقوس استعان بعدد ضخم من الأيدي العاملة منهم جماعات من الجنود بإشراف الفخر ناظر الجيش[٤]. كما كان الأسرى جزءًا لا يمكن إغفاله في

---

(١) النجوم الزاهرة، ٩: ٣٧.

(٢) المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١١٢.

(٣) الدواداري: كنز الدرر، ٩: ٢٦٦؛ المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١٣٠؛ حصة المبارك، الناصر محمد ابن قلاوون، ٣٥؛ محمد جمال الشوربجي: أعمال الجيزية في العصر المملوكي، (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩م)، ٧٩.

(٤) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٦١-٢٦٢.

الفخر ناظر الجيش: هو محمد بن فضل الله بن خروف المصري، ولد ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، كان من أسرة مسيحية ثم اعتنق الإسلام في مطلع شبابه، وترقى في أعمال الديوان، حتى تولى منصب ناظر الجيش عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م وظل في المنصب حتى توفي عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م: عنه انظر: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، تحقيق على أبو زيد وآخرون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٣-٥٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٢٧؛ المقريزي: المقفى الكبير، ٩: ٥١٦-٥٢٠؛ مسعد كتبي: "الفخر ناظر الجيش المملوكي ودوره في تعطيل نيابة السلطنة"، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد ٣٦، ٢٠١٦م، ٧٤١- ٨١٣. =

الحديث عن الأيدي العاملة، فقد تم تسخيرهم واستخدامهم في الأعمال الشاقة ومنها حفر الترع والخلجان وبناء الجسور[١].

تاسعًا- وفرةُ الخاماتِ اللازمةِ لهذه المشروعاتِ:

ما كانت هذه المشروعات العمرانية تتم لولا وفرة مواد البناء اللازمة التي استمدت من عدد من المصادر من بينها: القصور القديمة، ومنها قصر خارج الإسكندرية هدمه الأمير بكتوت الخازندار، واستخدم حجارته في تعمير الجسور والدور على خليج الإسكندرية عام (٧١١هـ/١٣١١م)[٢]، كما هدمت بعض الأهرام الصغيرة وبعض القناطر القديمة لاستخدام حجارتها في تشييد جسور الجيزة عام (٧١٣هـ/١٣١٣م)[٣]، واستمد القائمون على مشروع إنشاء

= ناظر الجيش: هذه الوظيفة من الوظائف الديوانية عالية القدر في عصر دولة سلاطين المماليك، وهو رئيس ديوان الجيش وقمة الجهاز الإداري في هذا الديوان، ومن مهامه التدبير أمر الْطاعات في مصر والشام ومشاورة السلطان في أمرها، ومن مهامه أخذ توقيع السلطان بالموافقة على المراسيم المرتبطة بالجند وتجهيزيهم للغزو. انظر مادة ناظر الجيش في: السبكي (تاج الدين عبدالوهاب، المتوفى ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار و أبو زيد شلبي و محمد أبو العيون، (القاهرة – جماعة الأزهر للنشر والتأليف بدون تاريخ)، ٣٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٥: ٤٦٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ٣: ١١٩٣؛ محمد عبد الله العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، ٣٤٧.

[١] ابن ايبك، كنز الدرر،٩: ٣١٣؛ سماح عبدالمنعم السلاوي: الجاليات الأجنبية في مصر في العصر المملوكي، (القاهرة – دار الافاق العربية، ٢٠١٣م)، ١١٨

[٢] المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١١٢.

[٣] المقريزي: المصدر السابق ١/ ٢: ١٣٠.

زربية[١] الناصر على النيل الطين المطلوب من مناطق بستان الزهري التي عرفت بجودة طينها منذ زمن بعيد[٢].

عاشرًا- السوابقُ التاريخيةُ:

حين اتجه الناصر محمد لاستخدام الجند في تنفيذ المشروعات أو الإشراف عليها، أو اقتطاع النفقة من أموال الإقطاعات العسكرية، لم يكن الأمر جديدًا، بل كان مألوفًا معتادًا، ولدينا عدد من الأمثلة التاريخية الدالة على مشاركة الجند في تنفيذ المشروعات الكبرى في وقت قصير، مثال ذلك حفر الظاهر بيبرس البندقداري خليج

---

(١) زربية: هي رصيف أو مصد للأمواج يتم بنائه على دعائم بغرض تدعيم شواطئ النيل لحمايتها من نحر مياه النهر. هناك وصف تفصيلي لكيفية بناء هذه الزرابي قدمه عبداللطيف البغدادي: ملخصه أن يحدد المكان المراد تدعيمه أو حمايته، ثم يصنع وعاء مستدير يشبه البرميل من خشب الجميز، ثم يحفر بئر يوضع فيه وعاء الجميز المستدير ويبنى فوقه الطوب الأحمر والجبس، ثم ينزل فنيون متخصصون سماهم البغدادي بالغواصين، هؤلاء الغواصون يقومون بنزح الطين الموجود في قلب الوعاء ثم أسفله بشكل تدريجي فيبدأ الوعاء في الهبوط لأسفل فيبنى فوقه مزيد من الطوب الأحمر والجبس، حتى يهبط الوعاء بشكل تدريجي حتى عمق معين، حين ذاك يخرج العمال وتملأ البئر بالطين، مما ينتج عنها عمود صلب جدًا، وعلى بعد أربعة أزرع يتم إن شاء عمود آخر في سائر المسافة المحددة، وعلى هذه الأعمدة يتم بنا الرصيف وتغطيته بكميات مناسبة من طمي النيل فتصير رصيف قوي يحمي الشاطئ من حركة الأمواج. انظر: عبداللطيف البغدادي (أبو محمد عبداللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد، المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، (القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م) ١١٤؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار ٣: ٤٣٥ هامش ٢.

GARCIN, J. CL, "Toponymie et topographie Toponymie et Topographie urbaines médiévales à Fustat et au Caire" , JESHO , *1984*, Vol. 27, No. 2 (1984), p 133, n. 81.

(٢) المقريزي، السلوك، ١/ ٢: ٢١٧؛ المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٣٦؛ LEVANONI, A., *op. cit.*, p.161.

الإسكندرية مستعينًا بالجنود بعد أن ردمته الرمال عام (٦٦٤هـ/١٢٦٥م)[١].

الأعمال المدنية ودور الجيش في إنجازها:

تنوعت الأعمال المدنية التي شارك فيها الجيش في عصر الناصر، كما يلي:

أولًا- حفر الخلجان والبرك:

١- حفرُ خليجِ الإسكندريةِ (الخليجِ الناصريِّ) (٧١٠هـ/١٣١٠م)[٢]:

يعد حفر خليج الإسكندرية عام (٧١٠هـ/١٣١٠م) في طليعة المشروعات المدنية التي شارك فيها الجيش المملوكي. وخليج الإسكندرية عبارة عن قناة مائية تصل ماء النيل إلى الإسكندرية. وكان يبدأ من فرع رشيد عند منطقة العطف[٣] ويمتد لمنطقة الكريون[٤]، وعندها يصب في خليج

---

(١) ابن عبدالظاهر (محي الدين المتوفى ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م): الروض الزاهر، ص ٢٤٧؛ العيني: عقد الجمان، ج ٥، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٤٢٨؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٩.

(٢) AL-HARITHY , H. , *op. cit.*, 1310-1341, p. 224.

(٣) العطف: قرية قديمة كانت تتبع مركز المحمودية في محافظة البحيرة بمصر. ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، المتوفى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، ج ٣، دار صادر، بيروت،١٩٧٧م، ص ٢٦٨؛ ابن الجيعان (شرف الدين يحي بن المقر، المتوفى ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٣٧.
انظر أيضًا: العطف: الموسوعة الحرة ويكيبيديا. مطالعة ٢ أغسطس ٢٠٢٢
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B7%D9%81_(%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A)

(٤) الكريون: قرية من القرى القديمة ذكرها إميلينيو في جغرافيته، وذكر ياقوت الحموي نقلًا عن ابن السكيت أنها نهر يأخذ من النيل يمر به تجارة رائجة تحملها السفن، وربما تكون نسبت إليه القرية، وهي الآن قرية تتبع مركز كفر الدوار في محافظة البحيرة بمصر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج ٤، ص ٤٨٥؛ ابن الجيعان: التحفة، ١٢١.
انظر أيضًا: الكريون: الموسوعة الحرة ويكيبيديا. مطالعة ٢ أغسطس ٢٠٢٢
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%88%D9%86

الإسكندرية القديم[١] الواصل إلى الإسكندرية[٢].

وسبب حفر هذا الخليج طبقًا لما ذكره المقريزي[٣] أن حاكم الإسكندرية الأمير بدر الدين بكتوت الخازندار زار السلطان الناصر في القاهرة عقب عودته إلى منصبه في المرة الثالثة، وخلال الزيارة طرح بكتوت فكرة حفر الخليج على السلطان، وحسَّن له حفره ليجري الماء فيه طوال العام؛ مما يضمن دوام الملاحة وتنشيط التجارة، بجانب زراعة الأرض على جانبيه. كل ذلك أقنع السلطان بجدوى المشروع فكلف الأمير بدر الدين محمد كيدغدي[٤] بالمشاركة مع بكتوت في الإشراف على تنفيذ المشروع[٥].

---

(١) خليج الإسكندرية القديم: هو قناة مائية حفرت بأمر الإسكندر الأكبر عام ٣٣٠ ق.م لتوفير الماء العذب للمدينة، لكن هذه القناة أهملت بعد الفتح العربي لمصر عام ٢٠ هـ حتى طمرت، وجرى حفرها مرارًا ومن أشهر مرات الحفر ما قام به الناصر محمد بن قلاوون حتى سميت بالخليج الناصري. انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ٣: ١٨٩؛ عمر طوسون: خليج الإسكندرية القديم، (القاهرة – مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ١-٢٣؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٠.

(٢) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية ٢١٨؛ عمر طوسون: خليج الإسكندرية القديم، ٢١-٢٣.

(٣) السلوك، ١/ ٢: ١١١؛ المواعظ والاعتبار، ١: ١٨٩-١٩٠.

(٤) الأمير محمد بن كيدغدي: كان مقربًا من السلطان الناصر في بداية عهده، شارك في حملة عسكرية على رأس كتيبة من الجنود عام (٧١٤هـ/ ١٣١٤م) لغزو سيس عاصمة بلاد الأرمن، لكن الحملة لم تتجاوز دمشق وعادت للقاهرة، ثم غضب عليه السلطان محمد وأخرجه إلى دمشق عام (٧١٥هـ/ ١٣١٥م) غير مهان وفرض له خمس ملطية، ويقدر بخمسين ألف دينار سنويًا، وتوفي بها (٧١٦هـ/ ١٣١٦م). انظر: المقريزي، السلوك، ١/ ٢: ١٣٩، ١٤٤، ١٦٩.

(٥) المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١١١؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٠.

وقد اضطلع الأميران – بكتوت الخزنداري وكيدغدي – بهذه المهمة خير قيام تدعمها الأوامر السلطانية للأمراء بالمعاونة بما يملكون من الأبقار والرجال[١]. وقد بدأ المشروع بقياس أقسام الخليج، وكلف بها جهات مختلفة حسب قدرتها المالية، وقدم لنا المقريزي وصفًا حيًّا لطريقة العمل في هذه القناة المائية، حيث فرض السلطان على الأمراء المشاركة في العمل فخرج كل أمير ومعه استاداره[٢]ورجاله، وولاة الأقاليم ورجالهم، وكلف كل أمير بقسم خاص به، وقد بلغ عدد من عمل بهذا المشروع أربعين ألف رجل، حفروا مسافة ستة عشر ألف قصبة حاكمية[٣] من مخرج

---

(١) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ٢١٨.

(٢) الاستادار: كلمة ذات أصل فارسي وتعنى المتولي للأخذ، أما من حيث المصطلح فتعنى المسئول عن إدارة القصور السلطانية من مطعم ومشرب وجواري وغلمان، ثم اتسعت مهامه ليقوم بالإشراف على ديوان المفرد المسئول عن النفقة على المماليك السلطانية، وكان يتولاها أمير مائة يساعده ثلاثة من أمراء الطبلخانة. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ٥: ٤٥٧؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ١:٨٥؛محمد العمايرة: المعجم العسكري المملوكي، ٢٤.
استادار الأمير: فهو من يوكله الأمير لإدارة إقطاعه والتعامل مع الفلاحين والمشرفين على العمل في الإقطاع الذين سماهم السبكي الدودارية، وقد أوصاهم بالحفاظ على حقوق صاحب الاقطاع والرفق بالفلاحين وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به. انظر: السبكي (تاج الدين عبدالوهاب، المتوفى ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): معيد النعم، ٢٦؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ١:٨٥.

(٣) القصبة الحاكمية: يرجح القلقشندي أن هذه القصبة عرفت منذ عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي، وطولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالنجاري، وذراع اليد يعادل ٢٤ أصبع [صبح الأعشي ٣: ٤٤٦] وقدرت حصة المبارك الذراع ٧٥ سنتيمتر[الناصر محمد بن قلاوون ٣٧]، ويرى الأمير عمر طوسون أن القصبة الحاكمية تعادل ٣,٨م انظر [خليج الإسكندرية ٢١] في حين حدد يعقوب أرتين القصبة لحاكمية ٣,٨٥متر [الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية، (القاهرة – مطبعة بولاق، ١٩٠٦م)، ١٨٩] وقد فصلت موسوعة وحدات القياس العربية أمر الخلاف حول تقدير القصبة الحاكمية تفصيلًا مبسوطًا، وخلصت إلى أن التقدير الأدق هو ٣,٩ متر [محمود فاخوري و صلاح الدين خوام: موسوعة وحدات القياس العربية، (بيروت – مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م)، ٤٠٨-٤٠٩.

القناة من النيل حتى الإسكندرية، وبلغ عرض الخليج ثماني قصبات وعمقه ست قصبات[١]، أما عن مدة إنجاز المشروع فقد ذكر المقريزي[٢] أن العمل بدأ فيه في (رجب سنة ٧١٠ هـ/ ديسمبر ١٣١٠م) ويتفق معه بيبرس المنصوري[٣] في العام لكنه لم يحدد الشهر، وعلى الرغم من أن المصادر لم تحدد تاريخًا لنهاية المشروع، إلا أنه في ضوء رواية المقريزي[٤] لنكبة بكتوت في (١٨ رجب عام ٧١١هـ/٢٩ نوفمبر ١٣١١م)، وما جاء لدى الطولوني[٥] فإن مدة انجاز المشروع لم تتجاوز الأربعين يومًا، و رواية الطولوني راجحه؛ ذلك أن جده كان من مهندسي الناصر محمد بن قلاوون ومشاركته في هذه الأعمال من المفاخر التي تتناقلها أجيال الأسرة.

٢- حفرُ خليجِ الذكرِ[٦]:

تسببت كثرة الرواسب في عجز هذا الخليج عن ري الأرض الواقعة عليه، مما تطلب إعادة حفره عام (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، فقرر السلطان تطهيره وتعميقه حتى يصل للخليج الكبير المعروف قديما بخليج أمير المؤمنين، وكلف الأمراء وجنودهم

---

(١) المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١١٢؛حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٠.

(٢) المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ١١١.

(٣) التحفة الملوكية، ٢١٨.

(٤) المقريزي السلوك، ١/٢: ١١٣.

(٥) نزهة الأبصار (مخطوط)، ورقة ٤٦٢ أ.

(٦) كان الخليج معروفًا في عصر الأيوبيين بخليج المقسي ثم نُسب إلى أحد أمراء الظاهر بيبرس يدعي شمس الدين الذكر الكركي، وكانت بداية خليج الذكر حين كان النيل يجري في موضع شارع عماد الدين حاليًا، وعند نقطة التقاء شارع عماد الدين بشارع قنطرة الدكة يخرج خليج الذكر ويسير شرقًا حتى شارع القبيلة فشارع الجامع الأحمر ثم شارع الشيخ حمادة وحارة الدرب الأحمر حتى يصب في الخليج المصري موضع شارع بور سعيد حاليًا قبالة مدرسة القديس يوسف عند رأس شارع الخرنفش. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٨٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٢٤-١٢٥ هامش ٣.

بحفره، فامتثلوا للأمر السلطاني في جمادى الأولى وعملوا بكل جد حتى تم الأمر، فلما فتح الخليج اندفع الماء بشدة حتى كادت القاهرة أن تغرق، فرأى السلطان خطورة الموقف فقرر حفر الخليج الناصري[١].

٣- حفرُ الخليجِ الناصريِّ (خليجُ سرياقوسَ)[٢]:

كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون محبًّا للصوفية ومن هنا قرر بناء خانقاه كبيرة لهم في سرياقوس، وبجوارها جامع ومكان للضيافة وقصور له ولكبار الأمراء، ولتسهيل الاتصال بين القاهرة وموقع الخانقاه الجديدة رأى السلطان أن يحفر قناة واسعة تصل النيل بسرياقوس بحيث توفر كمية كبيرة من مياه الري، وأيضا تصلح الملاحة فيها فيكون الوصول إلى سرياقوس أسهل[٣]، بجانب حل مشكلة خليج الذكر. ومن هنا سخَّر السلطان كل إمكانات الدولة لهذا الغرض وشارك فيها الجيش مشاركة فعالة، دليل ذلك ما أورده ابن شاكر الكتبي[٤] من صدور مرسوم سلطاني للأمراء والمقدمين والأجناد بمصر بحفر الخليج من فم الخور حتى سرياقوس.

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٨٠؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٠؛ LEVANONI, A., *op. cit.*, p. 163-4.

(٢) سرياقوس: إحدى قرى مركز الخانكة بالقليوبية، وهي من القرى القديمة التي ذكرها إمليتيو في جغرافيته، وذكر ياقوت إنها بليدة من نواحي القاهرة. عنها انظر: ياقوت: معجم البلدان، ٣: ٢١٨؛ ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر، المتوفى ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد (الإسكندرية- مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢١م) ٢: ١٢٥؛ محمد رمزي: المعجم الجغرافي، ٢: ٣٩.
ومادة سرياقوس على الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مطالعة ٨ أغسطس ٢٠٢٢.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%82%D9%88%D8%B3

(٣) ابن حبيب: درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١١٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٨١؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤١؛ LEVANONI, A., op. cit., p. 160.

(٤) عيون التواريخ، 4: ٣٧٧؛ أسامة حسن: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٧.

وقد بدأ المشروع بوضع مخططه العام من قبل لجنة ترأسها الأمير سيف الدين أرغون[١] يعاونه عدد من المهندسين وأهل الخبرة في حفر الترع، وبعد بحث ودراسة رأت اللجنة أن أصلح المواقع فمًا للخليج منطقة موردة البلاط[٢]، وبعدها يخترق عدة بقاع منها الميدان الظاهري ثم خط بركة قرموط ثم ظاهر باب البحر حتى يلتقي بالخليج الكبير، وما أن رفع التقرير للسلطان حتى كلف للأمراء بتوفير الرجال اللازمين للحفر، فاستدعى كل أمير عددًا من فلاحي إقطاعه، وحدد لكل أمير عدد من الأقصاب التزم بحفرها[٣].

وكان المشرف العام على تنفيذ هذا المشروع الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي[٤]، واختيار مغلطاي لهذه المهمة كان بسبب أدرك السلطان لقدرات مغلطاي الإدارية العالية، ومن ثم رقاه لمناصب الإمارة والاستدارية، ثم الوزارة في فترة بالغة القصر[٥].

---

(١) الأمير سيف الدين أرغون: هو الأمير سيف الدين الدودار الناصري، كان مملوكًا اشتراه المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد، فتربيا معًا ولم يفارقه في أفراحه وأحزانه حتى ولي سلطنته الثالثة فعينه دودارًا، ثم كلفه نائبًا لمصر عام (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، كان ملمًا بالفقه محبًا للعلماء جامعًا للكتب، توفي عام (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م). عنه انظر: الصفدي: أعوان النصر، ١: ٤٥٥؛ المقريزي: المقفى الكبير، ٢: ١٩- ٢٣؛ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٢: ٣٠٦.

(٢) مكان يقع الآن بين شارعي حوض اللبن ودار الشفاء بجاردن سيتي بالقاهرة. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٨٢، حاشية ١.

(٣) المصدر نفسه، ٣: ٤٨٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٨١؛ محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة، ٢١٣.

(٤) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ٤: ٣٧٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ٢: ١٤٥.
الأمير علاء الدين مغلطاي: هو الأمير علاء الدين مغلطاي بن عبد الله الجمالي، كان مقربًا من الناصر محمد بن قلاوون، ترقى في الإدارة العسكرية المملوكية فحصل على رتبة مقدم ألف وتولى منصب مقدم المماليك، واستادار كما تولى منصب الوزير سبع سنين، وفي أواخر حياته تعكر صفو العلاقة بينه وبين الناصر فاستأذن وذهب للحج ومات في طريق العودة عام (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م). انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ١: ٢٥٧.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٢٩١.

أما ميزانية الحفر فقد وزعت بين السلطان والأمراء والمقدمين، ويبدو أن النفقة كانت ضخمة بشكل جعل ابن شاكر الكتبي[١] وابن حبيب[٢] يصفاها بأنها أموال لا تحصى. وفيما يتعلق بفترة إنجاز المشروع فمن خلال رواية ابن شاكر الكتبي[٣]، ندرك سرعة إنجازه في مدة قصيرة، ومن خلال تلك الرواية يمكن الوصول لتقدير هذه المدة القريبة التي بدأت يوم (٢٥ من جمادى الآخرة ٧٢٤هـ /١٨ يونيو ١٣٢٤م)، وتم الحفر قبل وفاء النيل بيومين، ووفاء النيل يبدأ يوم ١٥ أغسطس، إذن نهاية المشروع كانت في (١٢ أغسطس ١٣٢٤م / ٢١ شعبان ٧٢٤هـ)، أي أن العمل تم في مدة قصيرة جدًّا لم تتجاوز الشهرين كما أشار ابن إياس[٤].

ونظرًا لأن مسار الخليج امتد من فم الخليج في جنوب القاهرة حتى سرياقوس فقد فصل بين القاهرة وشاطئ النيل، ومن هنا قرر السلطان بناء سلسلة من القناطر عليها[٥]، فكلف كل أمير ببناء قنطرة منها فنسبت إليه، فقد صدر تكليف للفخر ناظر الجيش ببناء قنطرة عند فم الخليج اشتهرت بقنطرة الفخر[٦]، وكلف الأمير قدادار[٧] ببناء قنطرة عند البستان بباب اللوق الذي كان ميدانًا للظاهر بيبرس من قبل[٨]، كما أمر

---

(١) عيون التواريخ، ٤: ٣٧٧.

(٢) درة الأسلاك (مخطوط)، ورقة ١١٩.

(٣) عيون التواريخ، ٤: ٣٧٧.

(٤) بدائع الزهور، ١: ٤٥٥؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤١.

(٥) الطولوني: نزهو الأبصار (مخطوط)، ورقة ٤٦٢ أ.

(٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢: ٤٩٨-٤٩٩.

موضع قنطرة الفخر حاليا تقاطع شارع دار الشفا مع شارع عائشة التيمورية بجاردن ستي بالقاهرة انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٨٢، حاشية ٤.

(٧) المصدر نفسه، ٢: ٥٠١-٥٠٢

(٨) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٦١-٢٦٢.

السلطان ببناء قنطرة عند باب البحر[١] وقام الأمير بقطمر الحاجب ببناء قنطرة الحاجب[٢]، وأخيرًا أمر السلطان ببناء قنطرة عند زقاق الكحل[٣]، وقد أنجزت هذه القناطر عام (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) كما حدد ابن إياس[٤] ونسبها جميعًا إلى السلطان الناصر بحكم أنه الآمر ببنائها.

وإنجاز هذا المشروع في وقت قياسي يقودنا للعديد من الدلالات منها: قوة الدولة القاهرة التي فرضت على كل القطاعات للمشاركة في المشروع، وتوافر التمويل بشكل يوضح الرخاء الذي ساد خلال هذه الفترة، واختيار شخصية عسكرية ذات قدرات قيادية مناسبة تمثلت في الأمير علاء الدين مغلطاي مديرًا للمشروع يوضح حسن اختيار السلطان للرجال، وأيضًا الرقابة والمتابعة المستمرة من قبل السلطان للمشروعات الكبرى مما ضمن تنفيذها في مدة قصيرة.

---

(١) قنطرة باب البحر: هي قنطرة بنيت على الخليج الناصري ليمر عليها الناس من باب البحر إلى بولاق، وتظهر قنطرة باب البحر في خرائط الحملة الفرنسية باسم قنطرة الليمون، وإليها نسب كوبري الليمون وموضعه اليوم مبنى هيئة الأنفاق بميدان رمسيس بالقاهرة. انظر: ابن تغري بردي: النجوم، ١: ١٨٢-١٨٣ حاشية ٥.

(٢) قنطرة الحاجب: هي قنطرة بناها الأمير بكتمر الحاجب عام ٧٢٦هـ ١٣٢٦م بأمر سلطاني ليمر الناس عليها من أرض الطبالة نحو منية السيرج. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٥٠٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٥٩.
قنطرة زقاق الكحل: هي قنطرة بنيت في عصر الناصر محمد بن قلاوون تصل بين أرض الطبالة وزقاق الكحل الموصل إلى منطقة جامع الظاهر، وردت لدى المقريزي باسم القنطرة الجديدة، وموقعها الحالي عند نقطة تلاقي شارع بورسعيد بشارع الظاهر بمدينة القاهرة. حسن قاسم: المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، (الإسكندرية – مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٧م)، ٢: ١٠٠.

(٤) بدائع الزهور، ١: ٤٥٩؛ AL-HARITHY, H., *op. cit.*, P. 226.

٤- حفرُ البركةِ الناصريةِ:

من جملة المشروعات التي حفرها أمراء الجيش المملوكي بتكليف من الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية[١]، وذلك عام (٧٢١هـ/١٣٢١م)، وسبب حفر البركة رغبة السلطان في بناء زربية لحماية شاطئ النيل بالمنطقة الواقعة بجوار جامع الطيبرسي، وتطلب الأمر الحصول على كمية كبيرة من الطين فاختير مكان البركة لقطع الطين منه[٢]، ويبدو أن السلطان المولع بالعمارة وإنشاء الحدائق والمتنزهات أبى أن يكون موضع حفر البركة خرابًا وعنوانًا للقبح، ومن هنا قرر ملء المنخفض الناتج عن الحفر بالماء وتعمير ما حوله ليصير متنفسًا للسلطان وعامة الرعية.

ولإنجاز المشروع استدعى السلطان الفخر ناظر الجيش وأمره بتوزيع العمل على الأمراء[٣] فنفذ الأمر طبقًا لمراتبهم، ثم قسم الأمراء العمل بين جنودهم، وكل جندي وزع العمل على غلمانه، وصار كل أمير يرفع صنجقه ويضرب طبلخانه[٤]، ليظهر للسلطان طاعته وقدراته العالية في خدمة الدولة، وكلف السلطان الأمير بيبرس الحاجب[٥] بالإشراف على عمل المهندسين لدراسة

---

(١) اجتهد محقق النجوم الزاهرة في تحديد موقع البركة الناصرية وأوضح أن البحث قد أسفر عن أن موقع البركة الناصرية هو نفسه موقع بركة ستي نصرة التي رسمت على خرائط الحملة الفرنسية عام ١٨٠٠، ويخترق موقعها شارع ستي نصرة ويوجد شرقها شارع عماد الدين وغربها شارع مصطفى كامل وجنوبها شارع الإسماعيلية. انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ١٩٤، حاشية ٢.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٥٤٩؛ الششتاوي، متنزهات القاهرة، ١٣٦.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار ، ٣: ٥٥٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ٣٣: ٧-٨.

(٥) الأمير بيبرس الحاجب: قبل سلطنة الناصر الثالثة كان آمير آخور، يرجح ابن تغري بردي أنه كان من مماليك المنصور قلاوون، ولما عاد الناصر لمصر قام بعزله، ثم ولاه وظيفة الحاجب، =

المشروع ومراحله[١]، وبالفعل قاموا بالقياسات المطلوبة ووزعوا العمل على الأمراء وبدأ حفر البركة حسب تحديد المقريزي[٢] يوم الثلاثاء ٢٩ ربيع الأول سنة ٧٢١ هـ/٢٧ ابريل عام ١٣٢١م.

الغريب أن ابن إياس[٣] حدد تاريخ حفر البركة بعام (٧٢٩هـ/١٣٢٨م)، وقد اجتهد محمد الششتاوي[٤] لحل لغز هذا التضارب، فرأى أن حفر البركة قد تم في ٧٢١هـ ، أما ٧٢٩هـ فهو على الأرجح تاريخ إعادة حفر لها، بعد تمام بناء قصر السلطان بجوار البركة وتوصيلها مباشرة بالنيل من خلال قناة خاصة، وهذا الترجيح لا يخلو من وجاهة بسبب ارتباط حفر الترعة بإنشاء الزربية، ولما كانت قد بنيت عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) فلا يستبعد حفر البركة وتجميلها في توقيت متزامن وإن تأخر قليلًا، ومهما يكن من أمر فبعد تمام الحفر بلغ اتساع البركة سبعة أفدنة [٥]، وجاء إنشاء هذه البركة سببًا في توسع

= وظل بها حتى أرسله السلطان في حملة الى اليمن ولما عاد غضب عليه السلطان فسجنه عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، بقى بالسجن حتى عفى عنه السلطان عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، ولاه إمارة حلب ثم نائبًا لغيبة تنكز عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م حين استدعاه السلطان لمصر، وتوفي عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢. عنه انظر: الصفدي: أعوان النصر، ٢: ٧٨-٧٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٣: ٤٧٤-٤٧٥.

(١) النويري: نهاية الأرب، ٣٣: ٨؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٥٤٩-٥٥٠.

(٢) المواعظ والاعتبار، ٣: ٥٤٩-٥٥٠

(٣) بدائع الزهور، ١: ٤٦٠.

(٤) متنزهات القاهرة، ١٣٦.

(٥) المواعظ والاعتبار، ٣: ٥٥٠

الفدان: يقدر بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين قصبة مربعة، وهو ما يعادل ٧٤٦٦ ذراعًا معماريًّا مربعًا، أو ٤٢٠٠ مترًا. انظر: عبد الله فكري: الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية، (القاهرة – المطبعة الأميرية، ١٨٩٣م)، ١٤.

عمراني كبير حيث اتجه مياسير الناس لبناء الدور العظيمة عليها[١].

ثانيًا- بناءُ الجسور والقناطر:

اهتم السلطان الناصر محمد في عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) ببناء عدد من الجسور لحماية الأرض الزراعية من فيضان النيل في منطقة الجيزة، واختار لإدارة هذه المهمة الأمير بدر الدين التركماني[٢]، وفي سبيل إنجاز هذا العمل استعان الأمير بعدد من المهندسين، أما الأيدي العاملة فقد توفرت بناء على أمر سلطاني للعساكر وللأمراء وتابعيهم، وحرصًا منه على سرعة تنفيذ العمل على نحو متقن تابعه بنفسه، حتى تم بناء جسر قوي متقن التصميم. ثم توجهت عناية السلطان لأعمال الجيزة فأمر ببناء جسرًا قبالة كل منها، مستفيدًا من كميات كبيرة من الحجارة حصل عليها من تفكيك هرم صغير[٣].

ويبدو أن عمارة جسور الجيزة كان بداية لتنفيذ خطة شاملة لبناء جسور في مختلف الأقاليم المصرية لحمايتها من خطر الفيضان، فأصدر السلطان أوامره لعدد من أمراء المماليك عام (٧١٤ هـ/١٣١٤م) لصيانة وبناء جسور في مناطق مختلفة

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار ٣: ٥٥٠.

(٢) الأمير بدر الدين التركماني: هو الأمير بدر الدين محمد التركماني بن الأمير فخر الدين عيسى التركماني، بدأ حياته كان شادًّا أو مشرفًا، ثم تغير حاله حين عينه السلطان الناصر واليًا للجيزة، وبسبب تبوغه ولاه السلطان الناصر كريم الدين الصغير أخرجه السلطان من مصر وعينه شادًّا للدواوين بطرابلس وبقي بها مدة سنتين حتى عفى عنه السلطان بشفاعة الأمير تنكز نائب الشام وولاه كشف الوجه البحريّ ثم رقي لرتبة أمير طبلخاناه وبقي مهابًا صاحب حرمة حتى توفي بالمقس في ربيع الأوّل ٧٣٨هـ. عنه انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤: ٢٥٦.

(٣) المقريزي السلوك ١/ ٢: ١٣٠؛ المقفى الكبير، ٦: ٤٧٥؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٣٥.

منها: تكليف الأمير عز الدين أيدمر الخطيري[١] بأمر الشرقية[٢]، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير[٣].

---

[١] الأمير عز الدين أيدمر الخطيري: هو الأمير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيري الأمير مسعود بن خطير، انتقل إلى ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون، فترقى به الحال حتى صار أمير ألف، وكان منوّر الشيبة كريمًا كثير الزواج، وكان لا يلبس قباء مطرّزًا ولا مصقولًا ولا يدع أحدًا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة بنى مسجد الخطيري وأنشأ بجانب هذا الجامع ربعًا كبيرًا تنافس الناس في سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء أول شهر رجب سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤: ٢٥٣؛ المقفى الكبير، ٢: ٣٦٥- ٣٦٨.

[٢] الشرقية: إقليم حدده القلقشندي في العصر المملوكي بأنه شمال القليوبية شرقي فرع النيل الشرقي، وأنه إقليم واسع لكنه قليل البساتين بسبب اقترابه من المناطق المالحة بجانب غلبة الطابع البدوي على معظم سكانها، وأخر المزروع فيها منطقة الصالحية وقاعدتها بلبيس ومن أشهر مدنها، ذكر ابن الجيعان أن عوائدها السنوية تصل لمليون وأربعمائة وأحد عشر ألف دينار وتتكون من ثمانين ناحية. ابن الجيعان: التحفة السنية، ١ ابن دقماق: الانتصار ٢: ١٣١-١٨٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٣: ٤٠٤-٤٠٥.

[٣] الأمير علاء الدين أيدغدي شقير: كان من مماليك جمال الدين أقوش الأفرم المقربين، ويمكن تتبع عدد من أخباره ففي عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م خرج مع الأمير كجكن لمطارة أحد الأمراء الفارين من السلطنة المملوكية نحو المغول وهو الأمير قبجق لكنهم عادوا حين علموا بمقتل السلطان المنصور لاجين، وقبيل ولاية الناصر محمد الثالثة، تقرب منه سرًا حتى صار من أقرب المقربين غليه، وعمل في الظاهر في خدمة السلطان بيبرس الجاشنكير وكلف بمهمة استطلاع أخبار حركة الناصر للعودة للسلطنة والتي ذاع خبرها، وذلك في شعبان ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م وعاد لبيبرس مدعيًا أن الناصر في رحلة صيد لا مطالب بالملك، وبعد تمكن الناصر من استعادة الناصر ملكه صار أحد ثلاثة معهم سر السلطان، وكلف عام ٧٠٩هـ بالخروج في حملة عسكرية نحو بلاد الشام كنوع من أنواع التعبئة الوقائية لتامين حدود السلطنة الشرقية؛ حتى لا يداهمهم المغول والسلطان لم يستقر له الحال بعد، وفي عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م شارك شقير في وأد فتنة الأمير مظفر الدين موسى بن علي بن المنصور قلاوون الذي خطط =

كلف بأمر البهنساوية[١] والأمير شرف الدين حسين ابن حيدر[٢] توجه إلى

= لعزل السلطان الناصر محمد، وكان قد ترقى حتى صار من مقدمي الألوف، لكن ساءت علاقته بالسلطان بسبب تطلعاته، فقبض عليه وقتله في ربيع الأول سنة ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م بسبب اتهامه بالتآمر على حياة السلطان. انظر: النويري: نهاية الأرب، ٣٢: ١٩٦؛ الصفدي: أعوان النصر، ١: ٦٥٠؛ المقريزي: االمقفى الكبير، ٢: ٣٤٢- ٣٤٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهر، ٨: ٢٦٠، ٩: ١٢، ٢٦، ٤١.

(١) البهنساوية: هي إقليم من أقاليم مصر، تم تحديده في العصر الفاطمي ليضم كور البهنسا، والقيس القديمة، وإهناس، وضم اليه بعض قرى البوصيرية، وبقى هذا الإقليم موجودًا حتى نهاية دولة المماليك، وعوائدها المالية حسب تقدير ابن الجيعان مليون وثلاثمائة وستين ألف دينار وعدد البلدان التابعة لها مئتان وستة وخمسين ناحية. عنها انظر: ابن الجيعان: التحفة السنية، ٥، ابن دقماق: الانتصار ٢: ٣-٣٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٣: ٣٨١. انظر أيضًا: مادة البهنساوية على الموسوعة الحرة ويكيبيديا مطالعة ٨ أغسطس ٢٠٢٢.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%87%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9_(%D8%B9%D9%85%D9%84)#cite_note-3

(٢) الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك: أصله رومي جاء إلى الشام لاجئًا مع أبيه وأخيه عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، في الشام شب حسين واشتهر بمهارته في الصيد فقربه حسام الدين لاجين حين كان نائبًا في الشام، وفي عهد السلطان حسام الدين لاجين منحه إمرة عشرة، ثم رقي لأمير طبلخانة، وكان من المقربين من الأفرم نائب الشام حتى فر من السلطنة المملوكية نحو التتار، ولما تسلطن الناصر محمد نقله معه إلى مصر ورقاه لرتبة أمير شكار بسبب براعته في الصيد، ثم رقي لرتبة مقدم ألف، وعده النويري من الأمراء الكبار، وبسبب سعة أمواله بني جامعًا وقنطرة على الخليج الناصري في القاهرة من ماله الخاص، وظل في عز ومنعه وقرب من السلطان حتى وافاه الأجل عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م ودفن في تربة ملاصقة لجامعه خارج القاهرة. عنه انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٢: ١٥٢- ١٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ٣٣: ٢١٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، (القاهرة -الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨)؛ ٥: ١٥٢-١٥٦؛ النجوم الزاهرة، ٩: ٢٧٦.

أسيوط[١] ومعها منفلوط[٢] وكذلك أرسل الأمير سيف الدين آقول الحاجب[٣] إلى إقليم الغربية [٤]، أما الأمير سيف الدين قلي[٥] أمير سلاح فوكل ببلاد

---

(١) أسيوط: قسم إداري قديم من أقسام مصر العليا عرف منذ الفتح العربي بالأعمال الأسيوطية، كانت عوائدها المالية تصل ثلاثمائة وتسعمائة وعشرين ألف دينار. حاليا تعد مدينة أسيوط عاصمة لمحافظة أسيوط، ويحدها من جهة الشرق نهر النيل ومركزا الفتح وأبنوب، ومن جهة الغرب جبل أسيوط الغربي ومن جهة الشمال مركز منفلوط، ومن جهة الجنوب مركز أبوتيج. انظر: ابن الجيعان: التحفة السنية، ٥؛ ابن دقماق: الانتصار ٢: ٦٠-٦٦؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ٥: ٧.

موقع محافظة أسيوط، مطالعة ٨ أغسطس ٢٠٢٢ http://assiut.gov.eg/AssiutGov.aspx

(٢) منفلوط: ذكر ابن الجيعان أنها تشمل منفلوط وكفورها، وحاليًا تقع منفلوط في وسط محافظة أسيوط، يحدها ومن جهة الجنوب أسيوط من الشمال مركز القوصية، ومن جهة الشرق مدينة أبنوب، وأخيرًا من ناحية الغرب الصحراء الغربية.ابن الجيعان: التحفة السنية، ١٨٤؛ موقع محافظة أسيوط زيارة ٨ أغسطس ٢٠٢٢ .http://assiut.gov.eg/ManfaloutGov.aspx

(٣) الأمير سيف الدين أقول المحمدي الحاجب: هو سيف الدين آقول بن عبد الله المنصوري المحمدي، كان من حجاب الناصر محمد، كلفه السلطان باستقبال رسل الخان المغولي طقطاي عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م، كما شارك في ببناء جسر الغربية لحمايتها من الفيضان عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م بأمر سلطاني، توفي عام ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، عنه انظر: الدواداري: كنز الدرر، ٩: ٢٨٠؛ المقريزي: السلوك، ٢/ ٢: ٤٥٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٣١٧.

(٤) الغربية: إقليم يقع بين فرعي دلتا النيل، سميت بالغربية لأنها تقع غرب فرع النيل الشرقي، يحدها جنوبًا المنوفية وتمتد حتى تصل للبحر المالح (المتوسط)، نشأت في العصر الفاطمي باسم الغربية وبقيت بهذا الاسم حتى الروك الناصري عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م حيث جاءت فيه باسم الأعمال الغربية، و ومقر هذا الإقليم في العصر المملوكي هو المحلة وهي مدينة كبيرة بها الجوامع والمدارس والأسواق والحمامات. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ٣: ٤١٠؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ٣: ٨.

(٥) الأمير سيف الدين قلي: كان من أمراء الناصر محمد المقربين، منحه رتبة سلاح دار ووصفه ابن تغري بردي أنه كان من أعيان الدولة المصرية، توفي عام (٧١٧هـ/ ١٣١٧م). عنه انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٢٤١.

الأشمونين[١]، وكلف الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا[٢] بأمر القليوبية[٣]، في حين

---

(١) الأشمونين: هي مدينة كبيرة قديمة ترجع لعصر المصريين القدماء، وصفها ياقوت إنها قرية من قرى الصعيد الأدنى تقع غربي النيل، كثيرة الزروع والثمار، وحاليًا هي قرية من قرى مركز ملوي بمحافظة المنيا. ياقوت: معجم البلدان، ١: ٢٠٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٢: ٣٨-٣٩.
مادة الأشمونين: دائرة المعارف الحرة ويكيبيديا، زيارة ٨ أغسطس ٢٠٢٢م.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%86

(٢) الأمير جنكلي بن البابا: هو جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي، كان مقيمًا قرب آمد، تابعا لغازان سلطان المغول في العراق. توسم فيه الأشرف خليل بن قلاوون الخير فدعاه للعمل معه لكنه لم يستجب، فلما مات غازان دخل في خدمة الناصر محمد في سلطنته الثانية عام ٧٠٤هـ فمنحه رتبة أمير، كما وصل لرتبة أتابك العسكر بمصر، ووصل لمكانة علية في مجلس السلطان حتى صار جليس الميمنة، كان متمسكًا بأهداب الدين ملمًا بالفقه عارفًا الفروق بين المذاهب السنية الأربعة المشهورة، يميل لمجالسة الصالحين ومساندتهم، رزق بولدين وصلا لرتبة الإمارة هما: الأمير شهاب الدين أحمد والأمير ناصر الدين محمد، بقي محفوظ الجانب حتى توفي بالقاهرة ١٧ ذي الحجة عام ٧٤٦هـ/ ٩ أبريل ١٣٤٦م. عنه انظر: الصفدي: الوافي، ١١: ٢٠٠؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ١: ٥٣٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٠: ١١٦.
انظر أيضا: إبراهيم رجب محمود: " الدور السياسي والحضاري للأمير جنكلي بن البابا في مصر خلال العصر المملوكي (٦٧٥- ٧٤٦هـ/ ١٢٧٦- ١٣٤٥م)"، مجلة كلية اللغة العربية جامعة أسيوط، العدد ٣٩، ٢٠٢٠م، ٧١٥- ٧٤٦.

(٣) القليوبية: هي إقليم يقع شمال القاهرة، تم استحداثه في عصر الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، وقبل ذلك كانت بلاده تابعة لإقليم الشرقية، وكانت تشمل عدد من المدن وتوابعها ومنها: قليوب وبنها وأجهور الكبرى وأجهور الصغرى والخاقانية والخزان والسنطة والصالحية وسرياقوس وشبين القصر (شبين القناطر حاليًا). ابن الجيعان، التحفة السنية، ٨-١١؛ رمزي: القاموس الجغرافي، ٢ :١٩.

توجه الأمير سيف الدين بهادر المعزي[١] إلى إخميم[٢] وأخيرًا الأمير بهاء الدين أصلم[٣] كانت مهمته قوص[٤].

---

(١) الأمير سيف الدين بهادر المعزي: هو بهادر بن عبد الله التركماني السيفي المعزي، كان من مماليك المنصور لاجين، وحين جلس لاجين على عرش السلطنه رقاه لرتبة أمير ودخل في خدمة الناصر محمد حتى قبض عليه عام (٧١٥ هـ/١٣١٥م) وظل في الاعتقال حتى (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) حين أطلق سراحه حين قبل السلطان شفاعة تنكز فيه، ورفع شأنه الناصر محمد وجعله من خواصه ورقاه لرتبة أمير مائة مقدم الف، حتى توفي عام (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) تاركًا ثروة كبيرة. عنه انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة،١: ٤٩٦؛ المقريزي: المقفى الكبير، ٣: ٧٥- ٧٧؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٣: ٤٣٠؛ النجوم الزاهرة، ٩: ٣١٨.

(٢) أخميم: عرفه ياقوت بأنه بلد بصعيد مصر شرقي النيل، وحدد الإدريسي المسافة بين النيل وأخميم بميلين، اشتهرت بين العرب بكثرة ما بها من الاثار القديمة أو البرابي. وحاليًا هي إحدى مدن محافظة سوهاج وعاصمة مركز إخميم. الإدريسي (الشريف محمد بن محمد، المتوفى ٥٥٩هـ/١١٦٦م): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (ليدن، ١٨٩٢م)، ٢٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١: ١٢٤. انظر أيضًا مادة أخميم على الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مطالعة ٩ أغسطس ٢٠٢٢م.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AE%D9%85%D9%8A%D9%85#cite_note-4

(٣) الأمير بهاء الدين أصلم: هو الأمير بهاء الدين السلاح دار أصلم بن عبد الله الناصري، كان من أصل قفجاقي فاشتراه المنصور قلاوون، وتنقل بين أمراء المماليك، حتى بشر الناصر محمد عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م بفرار بيبرس الجاشنكير فمنحه رتبة أمير عشرة، وترقي حتى وصل لرتبة مقدم ألف، وشارك في حملة عسكرية على اليمن وحين عاد نقل عنه ما أغضب عليه الناصر فسجنه سبع سنين ثم عفى عنه ومنحه رتبة أمير مائة وتقدمة ألف بمدينة القاهرة، ثم صار نائبًا بصفد وبعد وفاة الناصر عام ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م دخل في خدمة ابنه السلطان أحمد وبقي أمير مائة مقدم ألف حتى توفي في شعبان ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م. عنه انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ١: ٣٨٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤: ٢٣٤؛و المقفى الكبير، ٢: ٢١٨- ٢١٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ١: ٤٦٠-٤٦١؛ النجوم الزاهرة، ١٠: ١٧٥-١٧٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ١/٢: ١٣٧-١٣٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٣٨؛ نعيمة عبدالسلام أبو شاقور: "سياسة الناصر محمد في معالجة بعض المشاكل الاقتصادية"، مجلة العلوم الإنسانية – جامعة المرقب، العدد ٢٢، ٢٠٢١م، ٧٠٢. =

ومن مشرعات القناطر التي شارك فيها الجيش المملوكي مشروع بناء قناطر منطقة شبين القصر[١] على بحر أبي المنجا[٢] عام (٧٣٥هـ/١٣٣٤م) وبلغ عدد هذه القناطر تسع قناطر، وصدرت أوامر من السلطان للأمراء للمشاركة في حمل الأحجار ليكونوا قدوة لجنودهم مما عجل بتمام تنفيذ المشروع في مدة وجيزة[٣].

ثالثًا- مقاومةُ توابعِ الفيضاناتِ العاليةِ:

لم تتوقف مشاركة الجيش في الأعمال المدنية عند الأعمال الإنشائية لكنها تجاوزتها إلى مجالات أخرى منها مقاومة خطر فيضانات النيل العالية، مثلما حدث في (رابع رجب عام ٧١٧هـ/الحادي عشر من سبتمبر ١٣١٧م) حين انهارت جسور

= قوص: من المدن القديمة وصفها ياقوت بأنها قصبة صعيد مصر، المسافة بينها وبين الفسطاط تقطع في اثنى عشر يوما، تعتبر مدينة تجارية من الطراز الأول. وحاليًا تعد من مدن محافظة قنا كما أنها عاصمة مركز قوص. عنها انظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤: ٤١٣؛ ابن دقماق: الانتصار٢:٧٤- ٩٣. عنها انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ١٤: ١٢٨. مادة قوص على الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مطالعة ٩ أغسطس ٢٠٢٢م.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%88%D8%B5

(١) شبين القصر: هي مدينة شبين القناطر حاليًا. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩: ١١٤، حاشية ١٥.

(٢) بحر أبي المنجا: هو قناة مائية حفرت في العصر الفاطمي بغرض ري أراضي الشرقية، التي كانت تعاني من قلة الماء الواصل إليها، وذلك عام (٥٠٦هـ/ ١١١٢م) بأمر من الأمير الأفضل الجمالي، ونسب البحر للمباشر القبطي المشرف عليها المسمى بأبي المنجا، بني عليها في عصر المنصور قلاوون بلدة شبين القصر أو شبين القناطر كما تعرف حاليا. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢: ٥٨٤.

(٣) المقريزي السلوك ٢/٢: ٣٨٧؛ المواعظ والاعتبار، ١: ٢٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩: ١١٤.

منطقة منية الشيرج[١] وقليوب[٢] مما أدى لغرق هاتين المنطقتين و إسراع السكان بالفرار بعد أن خسروا كثير من أموالهم، كما تلفت كثير من الغلال المخزنة، وفي هذا الحدث الجلل شارك جنود الجيش في عملية تدعيم ما بقي من الجسور يقودهم والي القاهرة وجميع القادرين على العمل خشية غرق مزيد من البقاع مما يزيد الفاجعة[٣].

وتكرر الأمر عام (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) حين زاد فيضان النيل ودمر الجسر عند بستان الخشاب[٤]، فاندفع الماء نحو منطقة بولاق أو منطقة الترعة البولاقية بالقاهرة

---

(١) منية الشيرج: وتعرف أيضا بمنية الأمراء، سميت بهذا الاسم بسبب كثرة معاصر السمسم بها لإنتاج زيت الشيرج المسمى بالسيرج والذي غلب على اسم المنطقة حاليًا، وصفها ياقوت الحموي أنها بلدة تقع شمال القاهرة بمقدار فرسخ على الطريق المؤدي إلى الإسكندرية، كما أثنى عليها السخاوي ووصفها بأنها عامرة كثيرة السكان، ومساكنها كذلك، يقصد الناس أسواقها للتنزه، يعقد بها كل أحد سوق رائج للأغنام والبقر. حاليًا هي إحدي شياخات حي الساحل، بمحافظة القاهرة. عنها انظر: ياقوت: معجم البلدان، ٥: ٢١٨؛ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، المتوفى ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م): البلدانيات، تحقيق حسام بن محمد القطان، (الرياض- دار العطاء، ٢٠٠١م)، ٢٧٩؛ ابن دقماق الانتصار، ٢: ١١٨؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ٢: ١٤، ١٥.
منية الشيرج، موقع المعرفة، زيارة ٦ أغسطس ٢٠٢٢م.
https://www.marefa.org/%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%AC%D8%8C_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9

(٢) قليوب: من القرى القديمة جاء ذكرها في قوانين الدواوين لابن مماتي، حتى عام (٧١٥هـ/ ١٣١٥م) كانت قليوب من أقاليم الشرقية كما جاء عند ابن مماتي، فلما تم الروك الناصري في هذا العام تم انشاء إقليم القليوبية وقاعدته مدينة قليوب. عنها انظر: ابن مماتي: قوانين الدواوين، ١٦٧؛ ابن دقماق: الانتصار ٢: ١٢١-١٣٠؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي،: ٧٥.

(٣) المقريزي السلوك، ١/٢: ١٧٣.
LEVANONI, A., "A Turning Point in Mamluk History", p. 164

(٤) بستان الخشاب: بذل الأستاذ محمد رمزي جهدًا كبيرًا في تحديد الموقع الدقيق لبستان الخشاب في استدراك على تحقيق الجزء السابع من النجوم الزاهرة، وخلص بعد بحث إلى أن بستان الخشاب كان يقع في منطقة يحدها اليوم من الشمال شوارع البرجاي ومضرب النشاب وشارع المبتديان، ومن الغرب من النيل لشارع إبراهيم باشا، ومن الجنوب شارع بستان الفاضل وامتداده =

كما تسمى حاليًا، ووصل الماء إلى منطقة باب اللوق[١] حتى باب البحر[٢] -من أبواب القاهرة- وكذا إلى بستان الخور[٣]، وترتب على ذلك انهيار كثير من المنازل المطلة على النيل، حتى منطقة منية الشيرج، فأسرع الفخر ناظر الجيش بتقييم الموقف ورفع تقريرًا للسلطان بضرورة اتخاذ إجراء لمواجهة ارتفاع الفيضان حتى لا تغرق مساكن القاهرة، وبسبب وقع التقرير المفجع أسرع السلطان ليشاهد الموقف عن قرب، حينها قرر بناء جسر بعد انخفاض مستوى الفيضان؛ حتى لا يتكرر الأمر في السنوات التالية، ونودي على كل أصحاب الأملاك بإلقاء التراب ناحية بولاق؛ للحد من تدفق الماء مبدئيًّا، وتم استدعاء المهندسين فدرسوا أمر بناء الجسر يعاونهم الخولة أو رؤساء العمال، وحين بدأ العمل كلف كل أمير بمسافة معينة يقيم فيها الجسر بالاستعانة بفلاحي البلاد التابعة له، ووقف كل أمير بنفسه لمباشرة العمل حتى تم الجسر في عشرين يومًا ممتدًا من

= ومستشفى القصر العيني، ومن الناحية الشرقية يحد بشارع سعد الدينو الخليج المصري (بور سعيد حاليًا). ابن دقماق: الانتصار ١: ٣١٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٧: ٣٨٨.

(١) باب اللوق: منطقة باب اللوق يقصد بها المنطقة الممتدة من ميدان عابدين حاليًا حتى ساحل النيل، ومن المنيرة في الجنوب حتى شارع ٢٦ يوليو بقلب مدينة القاهرة وكان هذا الموضع ميدانًا أنشأه الصالح أيوب عام (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) لتدريب المماليك على المبارزة وبنى حول الميدان سور له باب عرف بباب اللوق، وظل الميدان موجود حتى عصر الظاهر بيبرس الذي هجر ميدان الصالح وأنشأ ميدانًا آخر إلى الغرب منه في موضع ميدان التحرير وشمال حي جاردن سيتي حاليًا بالقاهرة، ولما تولى الناصر محمد بن قلاوون قام بتخريب ما بقي من الميدان وحوله لبستان تزرع فيه أنواع الفواكه المختلفة. لمزيد من التفاصيل انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٦٢٦-٦٢٧؛ علي مبارك: المواعظ والاعتبار التوفيقية،٣: ٥٨؛عباس طرابيلي: شوارع لها تاريخ سياحة في عقل الأمة، (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م)، ٨١-٨٤.

(٢) باب البحر: هو باب من أبواب القاهرة، بناه الحاكم بأمر الله وهدم في عصر الظاهر بيبرس. عنه انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢: ٤٢٥- ٤٢٧.

(٣) بستان الخور: يقصد بها الأرض الممتدة من الخليج الناصري وخليج فم الخور والمنطقة كلها كانت قديمًا تعرف ببستان ابن ثعلب. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٣٩٥؛ علي مبارك، المواعظ والاعتبار التوفيقية، ٣: ١٠٤.

بولاق إلى منية السيرج[١].

ومع تجدد تهديد الفيضان لساحل النيل الشرقي مما يلي القاهرة عام (٧٣٩هـ/١٣٣٨م) اتخذ السلطان الناصر قرارًا بتغيير مجري النيل نحو الغرب، فشق قناة في جزيرة الروضة، ومع اندفاع ماء الفيضان طغى على الساحل الغربي (بر انبابة وبر بولاق التكرور) وانتهى تهديد النيل الدائم للساحل الشرقي، وانجز المشروع بإشراف الأميرين أقبغا عبدالواحد[٢] وبرسبغا الحاجب[٣]، ومتابعة من السلطان بصورة يومية حتى تم الأمر[٤].

---

(١) المقريزي: السلوك، ١/ ٢: ٢٥٠؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٣٧.

LEVANONI, A., *op. cit.*, p. 164

(٢) أقبغا عبدالواحد: الأمير علاء الدين الاستادار، المشهور بأقبغا الناصري، اشتراه الناصر محمد، ورباه في مماليكه فظهرت نجابته، ولاه السلطان محمد وظيفة الإشراف على العمائر السلطانية فقام بعمله خير قيام، فجمع له السلطان عدد من الوظائف عام (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) منها: الاستادار، شاد العمائر، مقدم المماليك، وأمير منزل، وأمير مائة مقدم ألف، ارتفعت مكانته في دولة الناصر بحكم أنه صهر السلطان فقد تزوج الناصر من أخته خوند طغاي، مات مقتولًا بأمر السلطان الصالح بن الناصر محمد في سجن الإسكندرية عام (٧٤٤هـ/١٣٤م). انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ المقريزي: المقفى الكبير، ٢: ١٩٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٢: ٤٩٧- ٤٩٩.

(٣) برسبغا الحاجب: كان حاجب الناصر محمد وترقي عنده حتى توفي، فلما مات الناصر قبض عليه الأشرف كجك بن الناصر محمد وسجنه في الإسكندرية حيث ومات مقتولًا في سجن الإسكندرية في ولاية الناصر أحمد سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م). الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٠: ١١٥؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ١: ٤٧٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٣: ٢٨٢-٢٨٣؛ وأيضا:الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد فهيم شلتوت، (القاهرة - دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨م)، ١٨٧.

(٤) المقريزي: السلوك، ٢/ ٢: ٤٥٠-٤٥١؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٣٧.

LEVANONI, A.,*op. cit.*, p. 164.

كما اهتم الناصر محمد بحماية شاطيء النيل عند القاهرة من نحر الفيضان فاتجه لإنشاء رصيف أو زربية عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) بجوار جامع الطيبرسي[١] الواقع على نهر النيل، ولإنشاء هذه الزربية احتاج المشروع لكمية كبيرة من الطين، وتقرر بعد دراسة نقل الطين من بستان الزهري القريب من ميدان المهارة، ولنقل كمية كبيرة من الطين في أسرع وقت أصدر السلطان الناصر قرارًا شمل عددًا من الأمراء ليقوموا بالمهمة تحت إشراف عدد من المهندسين وعلى رأس الجميع الأمير بيبرس الحاجب، وبسبب متابعة السلطان للأمر نشط الأمراء في حفر الأرض ونقل الطين مستخدمين بغالهم ودوابهم حتى انجز الأمر في وقت قصير[٢]، ونتج عن بناء هذه الزربية توسع عمراني كبير سوف يتضح بعد قليل.

رابعًا: إنشاءُ الميادينِ العامةِ:

ومن المشروعات العمرانية التي عاون الجيش في إنشائها في عصر الناصر محمد ابن قلاوون في عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) مشروع **إعادة تخطيط ميدان أسفل القلعة** الذي امتد من باب الأسطبل حتى القرافة[٣]، وفي سبيل إنجاز المشروع على وجه السرعة قسم السلطان العمل بين الأمراء، حيث نقل الطين إلى الميدان على الجمال، وغرس فيه مختلف أنواع الأشجار والنخيل كما حفر فيه عددًا من الآبار ركبت عليها سواقي للري، وحفاظًا على عمارة الميدان أحيط بسور حجري، ورغبة في ثواب الله قام السلطان بإنشاء سبيل خارجه لتوفير ماء الشرب للعامة والسابلة،

---

(١) جامع الطيبرسي: هو مسجد جامع بناه الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش على شاطئ النيل في أرض بستان الخشاب، وبنى بجواره خانقاه في عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤: ٢٠٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ٢/ ٢: ٢١٦- ٢١٧؛ المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٣٦.

LEVANONI, A., *op. cit.*, p. 161.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ٣٢: ١٥٦.

وبعد تمام العمل لعب فيه السلطان بالكرة وأجزل ثواب المشاركين في العمل[١].

ومن الميادين التي عمرها السلطان الناصر **ميدان المهارة** المقابل لقناطر السباع وذلك عام (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) حسبما ذكر المقريزي[٢] في حين أدرج ابن إياس[٣] المشروع في أحداث سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) والأرجح لدي قول المقريزي بسبب قربه الزماني واهتمامه الكبير بخطط القاهرة، وكُلف بإنجاز المهمة أمير آخور[٤] الكبير وباقي الأمراء الآخورية، وبسبب تضافر الجهود من هؤلاء الأمراء تم إنجاز المشروع في وقت قصير، وذلك أن السلطان هو من اختار موقع الميدان وتابع المشروع في كل مراحله من نقل للطين وزراعة الأشجار والنخيل[٥]، ولعل تكليف أمير آخور ومن تبعه من الأمراء الآخورية يرجع لتخصيص هذا الميدان لتربية إناث الخيول الصغيرة أو المهرة وتدريبها.

خامسًا: تعميرُ القرى:

كما شارك أمراء الجيش المملوكي في تعمير القرى، ومما رصدته المصادر في هذا المضمار قيام الأمير سنقر السعدي نقيب الجيوش بتعمير قرية النحريرية عام (٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، وموضع القرية كان أرضًا زراعية في إقطاعه فبنى بها مسجدًا وطاحونًا وخانًا ومعصرة، ومنح الفلاحين الحق في البناء بجوار هذه المنشآت فاتسع عمران القرية وزاد خراجها حتى وصلت شهرتها للسلطان وكثرة ما تغله الذي قدر بنحو خمسة عشر ألف دينار، فقرر السلطان ضمها للأملاك السلطانية[٦].

---

(١) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ١٢٣؛ ابن تغري بردي، ٩: ٣٧.

(٢) المواعظ والاعتبار، ٣: ٦٣٠؛ وأيضًا: السحماوي: الثغر الباسم، ١: ٢٤٤.

(٣) بدائع الزهور، ١: ٤٥٣.

(٤) أمير آخور: هو لقب مركب من كلمة أمير العربية وكلمة آخور الفارسية بمعنى المعلف، وكان هذا اللقب يطلق على الأمير المشرف على اسطبل وخيول السلطان. انظر: القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص ٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، (القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٦٥م)، ص ١٧٤؛ أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ٢٠.

(٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ٣: ٦٣٠-٦٣١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٥٣؛ انظر أيضًا: علي مبارك: الخطط التوفيقية، ١: ٣٤، ٨٣؛ أسامة حسن: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٥٨.

سادسًا- مواجهةُ ارتفاعِ أسعارِ الغذاءِ:

ولمواجهة ارتفاع أسعار أهم السلع على الإطلاق لدى المصريين وهو الخبز تدخل أمراء المماليك في عام (٧٢٤ هـ/١٣٢٤م)، حين عم الجفاف في بلاد المشرق الإسلامي فهاجرت جماعات من الناس إلى الشام في وقت أتلف الجراد فيه كثيرًا من الزروع حتى بلغت غرارة القمح مائتي درهم فأسرع الأمراء في مصر - بناء على أمر سلطاني - بتجهيز القمح ونقلوه عن طريق البحر إلى بيروت وطرابلس، وبلغ إجمالي ما نقلوه نحو عشرين ألف أردب[١] وعاونهم السلطان في ذلك، مما أدى لتراجع الأسعار على نحو كبير[٢]، ووصف ابن شاكر الكتبي[٣] الكمية التي نقلها الأمراء المصريون بالشيء الكثير.

وفي عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) حين ارتفعت أسعار القمح ووصل سعر الإردب إلى أربعين درهمًا، قرر السلطان أن يفتح الأمراء مخازن غلالهم ويعرضوا القمح بسعر ثلاثين درهمًا فقط تخفيفًا لحدة الأزمة[٤] التي ضج منها الناس بالشكوى، فحرص السلطان على التخفيف عن رعيته فأصدر هذا القرار، مما ترتب عليه عرض القمح بهذا السعر في شون الأمراء، لكن الأزمة لم تنته تمامًا لأن المصدر نفسه ذكر أن القمح كان يباع في الخفاء بستين درهمًا ولم تخف الأزمة إلا في شعبان حيث بيعت عشرة أرطال[٥] من الخبز بدرهم دلالة على عودة أسعار القمح لطبيعتها[٦].

---

(١) الإردب: مكيال كبير استخدمه المصريون يتكون من ٢٤ صاع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، والإردب يختلف باختلاف أنواع الحبوب ولا يهمنا هنا إلا إردب القمح وهو يعادل ١٥٠كجم. علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، (القاهرة - القدس للإعلان والنشر، ٢٠٠١م)، ٣٩,٨

(٢) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٥٤.

(٣) عيون التواريخ، ٤: ٣٧٧.

(٤) ابن العسال: النهج السديد، ٢: ٧١٦.

(٥) الرطل: يتكون من اثنى عشر أوقية أما الأوقية فتتكون من اثنى عشر درهمًا، بينما الدرهم يتكون من اثنى عشر قيراط والقيراط أربع حبات، والرطل المصري كما حدد الشيخ علي جمعة ٤٤٩,٢٨ جرام. أحمد فكري: الفوائد الفكرية، ١٦؛ علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ٣٠.

(٦) ابن العسال: النهج السديد، ٢: ٧١٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ١: ٤٧٢؛ مصطفى وجيه: الغذاء في مصر عصر سلاطين المماليك، (القاهرة - عين للبحوث والدراسات، ٢٠١٦م)، ٣١٩.

سابعًا- إطفاءُ الحرائقِ:

كما لم يتأخر الجنود عن المشاركة في إطفاء حرائق القاهرة، ففي عام (٧٢١هـ/١٣٢١م) حصلت صدامات ذات أبعاد طائفية في القاهرة أدت لاشتعال عدد من الحرائق التي أخذت في الاتساع حتى أحرقت النخيل والمراكب، وظن الناس أن السيطرة على الحريق من المحال، لكن تعاون كل الناس في القاهرة بما فيهم جنود الجيش لكبح جماح النار المهلكة، مما ساعد على السيطرة على الحريق، ولم يشارك صغار الجند فقط في مواجهة هذه الأزمة، بل شارك أمراء الطبلخانه بأنفسهم ومعهم أمراء العشرات للتصدي لهذه الكارثة، واتخذت مجموعة من التدابير ساعدت على السيطرة على النيران منها: استخدام جمال الأمراء في حمل الماء، ومنع خروج السقائين من القاهرة للمشاركة في الأمر حتى أطفئ الحريق، وفي هذه الحادثة شاهد عامة الناس كبار الأمراء وهم يحملون الماء معهم[١]، كل ذلك تحت إشراف نائب السلطنة والحجاب وأمير جاندار[٢].

مشروعاتٌ فاقتْ طاقةَ الجيشِ:

على الرغم من الدور الفاعل للجيش المملوكي في المشروعات المدنية إلا أن هناك بعض المشروعات لم يتمكن من الإقدام على تنفيذها بالرغم من رغبة السلطان في ذلك لأنها فاقت قدرات الجيش آنذاك، مثال ذلك، حين قرر السلطان عام (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) أن يحفر قناة تبدأ من النيل عند حلوان وتمتد حتى القلعة، وبالفعل كلف الخبراء وشاد العمائر بدراسة المشروع، فقاموا بالقياسات اللازمة وتقرر حفر ما يقارب اثنين وأربعين ألف قصبة حتى يستمر جريان في القناة صيفًا وشتاء، وأعجبت الفكرة السلطان أيما إعجاب، ومع ذلك لم ينفرد بالرأي بل شاور الأمراء الذين خافوا من معارضة الناصر

---

(١) ابن العسال: النهج السديد، ٢: ٦٠٢-٦٠٣؛ المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٢٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩: ٦٣- ٦٨؛ نعيمة عبدالسلام أبو شاقور: "سياسة الناصر محمد في معالجة بعض المشاكل الاقتصادية"، ٧٠٢.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ٣٣: ٩.

فلم يعترض منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش الذي أوضح للسلطان أن المشروع غير قابل للتنفيذ؛ لأنه يحتاج لقوة الجيش كاملة ومثله معه، ويستغرق سنين طوال ويتكلف مالًا جزيلًا، وفوق ذلك يكلف الرعية فوق طاقتهم فتدعو على السلطان، وأكثر من سوق الحجج والأدلة حتى عاد السلطان عن المشروع[١]، ولم يكن اقتناع السلطان برأي ناظر الجيش نابعًا من فراغ، لكنه جاء بسبب إدراك السلطان لخبرة الفخر الواسعة في إدارة شئون الجيش، ومعرفته التامة بمراتب الأمراء والجنود، وما في أيديهم من اقطاعات وما يعتريها من متغيرات بحكم منصبه ناظراً للجيش[٢].

مردودُ الأعمالِ المدنيةِ التي شاركَ فيها الجيشُ على عامةِ الناسِ:

يمكن رصد بعض عوائد المشروعات التي شارك الجيش في إنجازها على عامة شعب السلطنة ومن بينها:

مشروع حفر خليج الإسكندرية عام (٧١١هـ/١٣١١م) الذي جنت منه السلطنة كثيرًا من الفوائد التي عددها المقريزي[٣] ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- اتساع رقعة الأرض الزراعية حيث بلغ مجموع ما زُرع من أرض مائة ألف فدان، منها مساحات كبيرة كانت سبخًا في الماضي فلما أنشئ الخليج صلحت وجاد فيها الزرع، كما تم تعمير ألف حقل على الخليج، وإنشاء ستمائة ساقية لري الأراضي؛ الأمر الذى أدى إلى ازدهار الزراعات وأبرزها زراعات القلقاس والسمسم.
- نشأة عدد من القرى الجديدة بلغ عددها أربعين قرية، بجانب تعمير عدة بلاد لم يذكر المقريزي عددها.
- تجدد حركة الملاحة في الخليج بين فرع رشيد والإسكندرية بصورة مباشرة حيث أبحرت فيه السفن الكبار صيفًا وشتاء.

---

(١) المقريزي: السلوك ١/ ٢: ٣٠٢؛ ابن تغري بردي، ٩: ٩١.

(٢) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ٣: ١١٩٤.

(٣) المقريزي السلوك، ١/ ٢: ١١٢؛ المواعظ والاعتبار، ١: ٤٧٦؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع، ٣٤،أسامة حسن: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٧.

- توافر مياه الشرب العذبة لمدينة الإسكندرية بصورة أغنت سكانها عن تخزين مياه المطر في الصهاريج.
- أنشأ الأمير بكتوت والي الإسكندرية جسرًا استغرق بناؤه ثلاثة أشهر حتى تم رصيفًا واحدًا أنشأ عليه نحو الثلاثين قنطرة، بناها بالحجارة والكلس، وعمل أساسه رصاصًا، وبجوار الجسر أنشأ خانًا وحانوتًا.

كما أحدث حفر الخليج الناصري من القاهرة إلى سرياقوس عام (٧٢٤هـ/١٣٢٤م) حركة رواج اقتصادي عظيم من مظاهرها إنشاء عدة أسواق على طول الخليج، كما سهلت حركة نقل الغلال من المزارع على طول الخليج حتى القاهرة مما أسعد السلطان، كما أقبل الناس على شراء الأراضي على جانبي الخليج لزراعتها بمختلف أنواع الأشجار، كما اتسعت ونمت حركة البناء والتعمير على جانبي الخليج حتى عمر ما بين المقس وبولاق ومن مردة البلاط حيث فم الخليج حتى أرض الطبالة، وتنافس عامة الناس في بناء الحمامات والمساجد والأسواق، وتفرع من الخليج عدة خلجان ساعدت على اتساع الرقعة الزراعية بصورة كبيرة[١].

وترتب على حفر البركة الناصرية عام (٧٢١هـ/١٣٢١م) حركة عمرانية نشطة على أطرافها، حيث بنى الناصر محمد قصرًا للتنزه تم عام (٧٢٩هـ/١٣٢٨م)، أما عامة الناس فقد اتجهت للتحكير[٢] وبناء الدور التي وصفها المقريزي بالعظيمة، وهذا الوصف يوحي بأن من أنشأوها كانوا من مياسير الناس[٣].

كما أدى بناء الزربية بجوار المسجد الطيبرسي لحركة عمرانية كبيرة في هذه المنطقة؛

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٨٤؛ حصة المبارك: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٢؛ أسامة حسن: الناصر محمد بن قلاوون، ٤٧؛ الششتاوي: متنزهات القاهرة، ٢١٤.
LEVANONI, A. *op. cit.*, p. 160.

(٢) الحكر: يقصد بالتحكير المنع، وفي عرف المصريين منع الغير من البناء على أرض بعينها. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص ٣٧٨.

(٣) المواعظ والاعتبار، ٣ :٥٥٠.

لأن السلطان لم يكتف ببناء الزربية لكنه بنى فوقها وكالة وربعين كبيرين، أوقف أحدهما على خانقاه سرياقوس ومنح الربع الثاني للأمير بكتمر الساقي[١] الذي بنى بجواره حمامين، فاقتدى الناس بالسلطان والأمير وتوسعوا في العمران بجوار هذه الزربية حتى صار هناك شوارع ودروب ومساكن بحري الزربية، وتنافس الناس في شراء الأرض وتعميرها حتى امتدت العمارة من الميدان السلطاني حتى قناطر السباع، أما جنوبي الزربية فقد توسع الأعيان والكتاب في البناء فيها فعرفة منشأة الكتاب، وتوسعت العمائر والمتنزهات حتى وصلت لمنشأة المهراني[٢].

وصار ميدان المهارة من أهم متنزهات القاهرة بحكم أن الأهالي كانوا يخرجون للفرجة على عروض تدريبات الخيل السلطاني [٣]، وجاء تعمير القرى سببًا في تزايد التجمعات السكانية القروية حول منشآت أمراء السلطنة مثل قرية النحريرية[٤].

***

(١) الأمير بكتمر الساقي: هو الأمير سيف الدين المظفري، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير، ضمه السلطان الناصر إليه عام (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) فاعتقه وجعله ساقيًا وأمره، وعظم عن السلطان وصار من كبار الأمراء، حتى أرسل للمغول طالبًا أمه وأخوته فكان له ما أراد، وظل في عز ومنعه وقرب من السلطان حتى شك السلطان في رغبته في الخروج عليه، فاصطحبه معه للحج عام (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) وفي طريق العودة مات بكتمر وابنه عام (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) فاتهم السلطان بدس السم له. عنه انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٠: ١٩٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ٢: ٢٣٥؛ المقريزي: المقفى الكبير، ٢: ٤٦٦- ٤٧٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٣: ٣٩٠-٣٩٦.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٣: ٤٣٦.

LEVANONI, A.,*op. cit.*, p. 161.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ١: ٤٦٠؛ محمد الششتاوي: ميادين القاهرة، ٨٦.

(٤) المصدر نفسه ١: ٤٥٨.

الخاتمةُ:

بعد هذه الدراسة لدور الجيش في الأعمال المدنية في عصر دولة الناصر محمد ابن قلاوون الثالثة نخلص إلى عدة نتائج منها:

- أولًا- تنوعت المجالات التي شارك فيها الجيش في الأعمال المدنية عصر الناصر محمد بن قلاوون، والرابط بينها ضخامة المشروع وسرعة الإنجاز وعظم العوائد.
- ثانيًا- بدا واضحًا ارتفاع مكانة دولة سلاطين المماليك في ظل كثرة المشروعات المدنية الدالة على قوة الدولة واستقرارها.
- ثالثًا- تجلى الدور المشرف للجيش في سرعة التصدي لكثير من الأزمات الخانقة بعضها يتعلق بتوفير الماء، وبعضها يتعلق بتوفير الغذاء في فترات المجاعة، وغيرها يتعلق بالحد من الخسائر حين شارك في إطفاء الحرائق.
- رابعًا- استغلال طاقة الجنود في غير أوقات الحرب وبالتالي صاروا قوة مضافة لقاطرة التنمية التي قادها الناصر محمد بن قلاوون بدلًا من أن يبقوا قوة معطلة غير مستغلة ربما تسبب له مختلف المشاكل.
- خامسًا- تأكد لنا استفادة عامة سكان السلطنة من مشاركة الجيش في الأعمال المدنية، التي سمحت لهم بالتوسع العمراني في ظل سياسيات السلطنة الساعية لهذا الأمر، كما بدا من التوسع العمراني في محيط البركة الناصرية على سبيل المثال لا الحصر.

وفي نهاية الدراسة يُوصي بإجراء مزيد من الدراسات حول دور الجيش في المشروعات المدنية في مصر عبر عصور التاريخ حتى مطلع العصور الحديثة؛ لكشف صفحات مجهولة من تاريخ جيش مصر العظيم.

قائمة المختصرات

EI = Encyclopedia of Islam

JESHO= *Journal of the Economic and Social History of the Orient*

MSR= Mamluk Studies Review

خريطة (١)

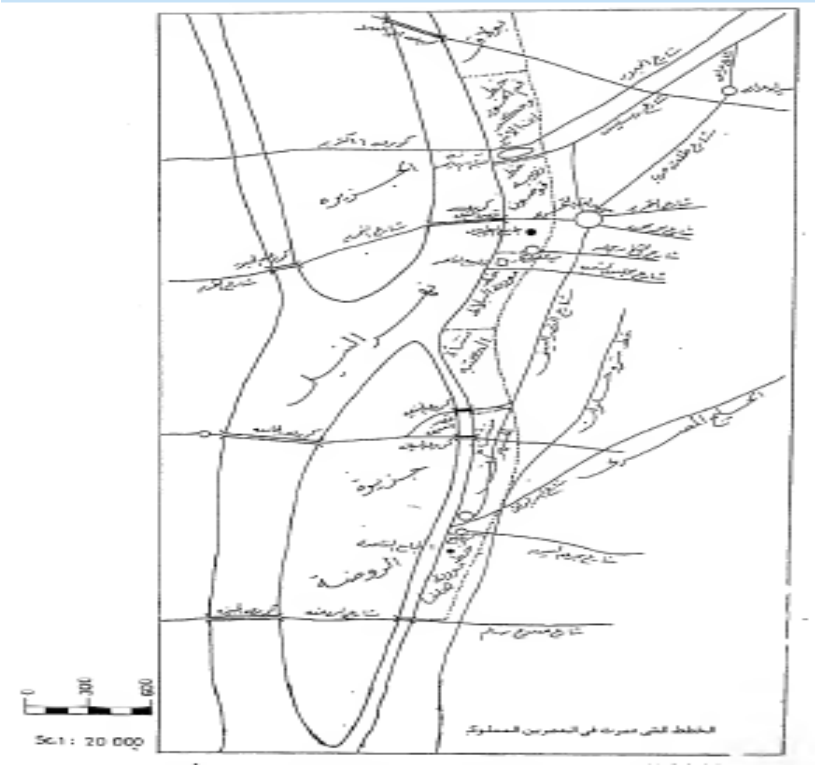

الخطط التى عمرت في العصر المملوكي على أرض طرح النيل

[عن: محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة، ص ٣٧٩]

خريطة (٢)

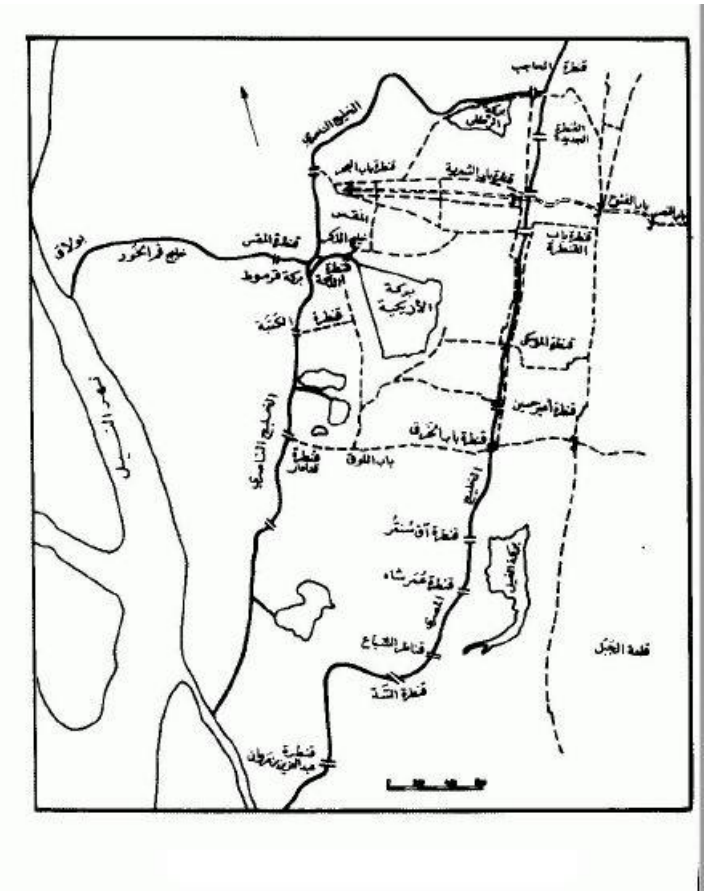

القناطر التي أنشأت على الخليج المصري

[عن: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص ٤٩٩]

خريطة (٣)

خليج الإسكندرية (الخليج الناصري) من عمل الباحث